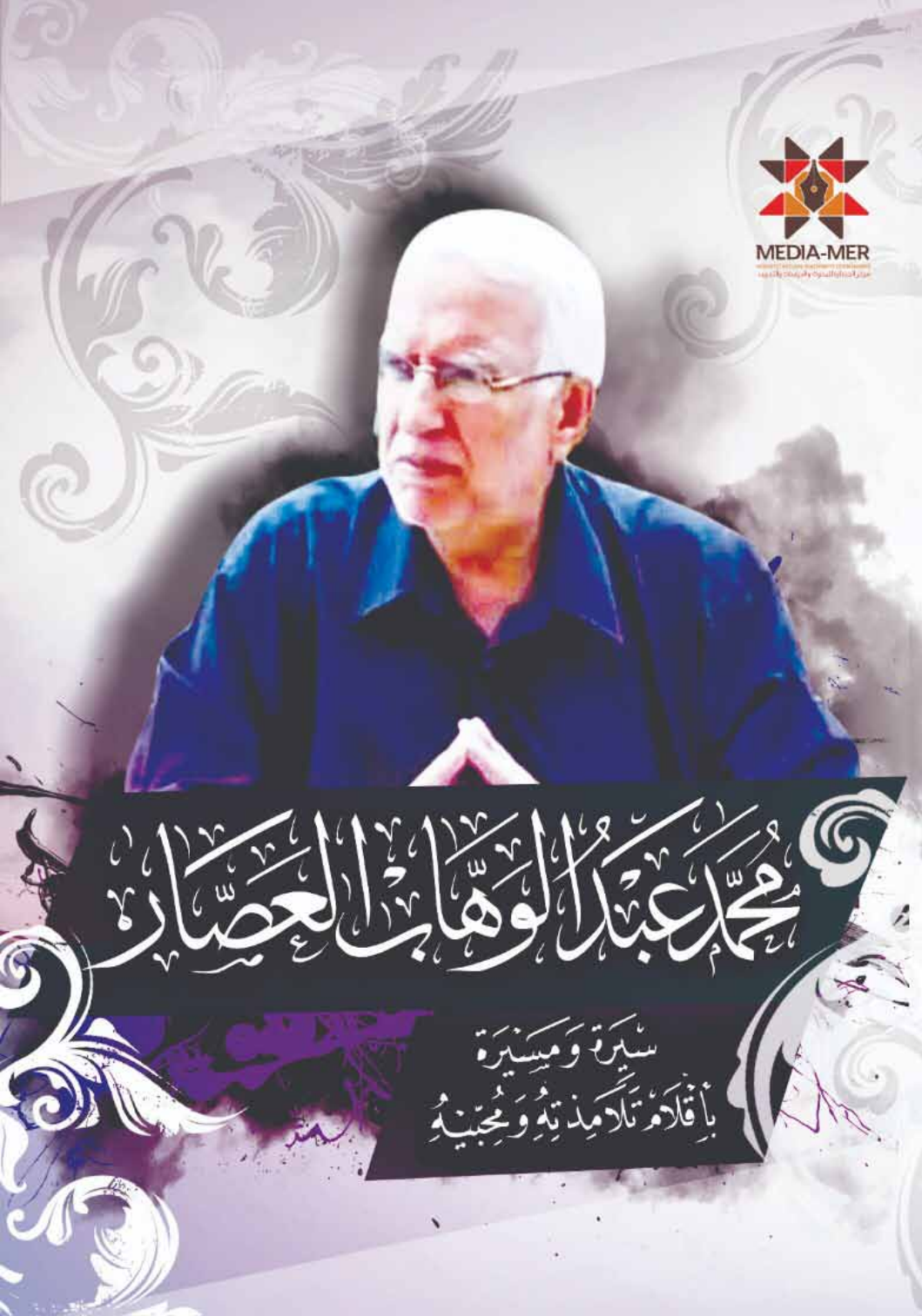

MEDIA-MER

مُحمّد عبد الوهّاب العصّار

سيرة ومسيرة
بأقلام تلامذته ومُحبّيه

مُحَمَّدُ عَبْدُ الوَهَّابِ العَصَّارُ

سِيرَةٌ وَمَسِيرَةٌ
بِأَقْلَامِ تَلَامِذَتِهِ وَمُحِبِّيهِ

لمحات حب ولمسات وفاء وشهادات صدق من إخوان المهندس الشهيد العصار ومحبيه وتلاميذه الذين تشربوا على يديه حب الدعوة والتخلق بأخلاق الدعاة الربانيين على طريقها، والتفاني في سبيلها، والصبر على مشاقها وابتلاءاتها، وصولا إلى حلم النصر والتمكين والعودة بالأمة إلى مصاف الريادة والشهادة على الأمم، والذين قد عاهدوه في حياته على مواصلة السير على دربه الجهادي حتى يصبح الشعار "الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا" واقعًا حقًا، وقد سبقهم في الوفاء بالعهد وصدق الله، فصدقه الله، وحقق أمنيته في الشهادة، فارتقى صابرًا ثابتًا لم يُبدّل، ولم يَحِد عن الطريق والرسالة.

مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب
MEDIA-MER
İletişim: media.mer.tr@gmail.com

محمد عبد الوهاب العصار

سـيرة و مسـيرة

بأقـلام تلامـذته ومحبـيه

MEDIA-MER
MEDENİYET İNCELEME ARAŞTIRMA VE EĞİTİM DERNEĞİ
مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد عبد الوهاب العصار

سيرة و مسيرة

بأقلام تلامذته ومحبيه

Öğrencilerinin ve Sevenlerinin Kalemiyle

MUHAMMED ABDÜLVEHHAB EL-ASSAR

Hayat Hikayesi ve Çizgisi

Yayıncı

MEDIA-MER

الناشر

مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب

Birinci Baskı
Baskı-Cilt: Ofis Matbaa

İletişim: media.mer.tr@gmail.com

مقدمة

كانت حياته سلسلة من **الجهاد والمثابرة والمرابطة** على ثغور الدعوة إلى الله يُكلّلها الإخلاص والتجرد والبعد عن حب الظهور والشهرة، قضى حياته في رحاب العلم والفكر والتربية تحت راية جماعة الإخوان المسلمين عاشها معلمًا، مربيًا وناصحًا أمينًا لكل الإخوان وشبابهم، متنقلاً بدعوته داخل مصر وخارجها.

كان له من اسمه أعظم النصيب، فقد انتهج طريق التيسير والبساطة مع التركيز في عرض ما أفاء الله عليه من أفكار استخلصها من بطون أمهات الكتب من التراث الفكري العظيم لأمة الإسلام، ثم صاغها وشرحها بأسلوبه، مضيفًا إليها نماذج وشواهد من حصيلة خبرته، وعصارة تجربته وتجربة من تعامل معهم من كبار الدعاة، باذلاً فيها من روحه، ليقدمها للمتلقي خلاصة نقية، صافية، سائغة للسائرين.

ظل ثابتًا على طريق الحق والعدل والحرية صادقًا في دعوته، فصدقه الله ومنحه وسام النجاة والفوز الأبدي.

وكما كانت حياته متميزة في العطاء المتجرد، كان رحيله عن الدنيا رحيلاً هادئًا متميزًا أيضًا؛ فقد خرج من دنيانا من بوابة الشهادة في سبيل الله بعد معاناة سنوات في سجون الظالمين أمضاها صابرًا محتسبًا راجيًا أن يمنحه الله مكافأة نهاية الخدمة ألا وهي الشهادة، كما كان يتمنى وينشد

مع إخوانه (**الموت في سبيل الله أسمى أمانينا**). ارتقى صابرًا محتسبًا شاكيًا إلى الله الظلم والقهر الذي تعرض له في شيبته.

إنه المهندس والداعية الشهيد - بإذن الله - **محمد عبد الوهاب العصار**، أحد القيادات البارزة والعاملة في جماعة الإخوان المسلمين، والذي شغل منصب عضو مجلس شورى الجماعة، فقدم نموذجًا ومثلاً يُحتذى في الثبات على المبدأ لنصرة الحق في مواجهة الباطل وبطشه، وعدم التخلي عن المبدأ، ورسوخ الموقف تحت وطأة القهر والتنكيل في سجون الظلم، ورفض أن يعطي الدنيّة في دينه أو وطنه؛ وظل هكذا إلى أن نال وسام الشهادة في سبيل الله، في سجون الانقلاب العسكري.

شهد له كل من عايشه بأنه كان نعم الأخ الحبيب والخل الوفي والتقي الورع والمسلم الصادق والداعية المجاهد، والمؤمن الصابر والرجل الصلب والمعدن النفيس، الصوّام القوّام، التالي الذاكر، الذي ضرب أروع الأمثلة في الثبات على الأمر، والجرأة في الحق والصبر على البلاء، فكان المثل لإخوانه الدعاة داخل السجون وخارجها، يرونه القمّة الشامخة والطود الأشم، المعتز بربه، المستعلي بإيمانه على الأقزام المهازيل من الفراعنة الصغار، وزبانيتهم المرتزقة أشباه الرجال ولا رجال.

ورغم كل ما تعرض له من ظلم وتعذيب، كان المهندس العصار يعلّم الشباب في السجن «3 لاءات» (لا للعنف - لا للتكفير - لا للذوبان)، جمعها أحد تلامذته في أبيات شعرية، فقال:

لا هنكفر خصوم فكرتنا والسجان

ولا نهدم جدار الدار بنار التار

ولا هندوب مع اللي تاه

هنفضل شوكة في حلقك يا سي فرعون

وهنكمل طريق الحق مهما يكون

وهنموت بإذن الله في ليلة قدر

وندعي ربنا المعبود تكون الجنة هي الأجر

وإذا كان الرجل قد ظُلم حيًّا وميتًا، ولم يعرفه الكثيرون من قبيل التجرد وتمام الأجر، فإننا نرى أنه من الوفاء له بعد رحيله أن نُعرِّفه إلى شباب المسلمين، الذين كانوا دائمًا في بؤرة اهتمامه وفي سويداء قلبه، من خلال لمحات حب ولمسات وفاء وشهادات صدق من إخوان المهندس الشهيد العصار ومحبيه وتلاميذه الذين تشربوا على يديه حب الدعوة والتخلق بأخلاق الدعاة الربانيين على طريقها والتفاني في سبيلها، والصبر على مشاقها وابتلاءاتها، وصولاً إلى حلم النصر والتمكين، والعودة بالأمة إلى مصاف الريادة والشهادة على الأمم، وقد عاهدوه في حياته على مواصلة السير على دربه الجهادي حتى يصبح الشعار «الموت في سبيل الله أسمى أمانينا» واقعًا حقًا، وقد سبقهم في الوفاء بالعهد وصدق الله فصدقه الله، وحقق أمنيته في الشهادة فارتقى صابرًا ثابتًا لم يبدّل ولم يحِد عن الطريق والرسالة.

و مركز الحصاد للبحوث والدراسات والنشر ؛ إذ يشرف بنشر هذه الشهادات والمواقف المفعمة بمشاعر الوفاء ومعاني الإخوة الحقيقية القائمة على الحب في الله وبذل الغالي والنفيس لمرضاته؛ فإنه يؤكد أن الذكرى للإنسان عمر ثان، وأن المواقف الصادقة لا تُنسى، والمبادئ الراسخة لا تتبدل، حتى وإن رحل أصحابها بأجسادهم فإن أخلاقهم وجهادهم وإخلاصهم يظل

نبراسًا يضيء الطريق لمن يسير على دربهم، ويؤمن برسالتهم في الحياة حتى يُكملوا المسيرة، ويوفوا بالعهد إلى أن يأذن الله بلقاء بلا فرقة، وحياة بلا موت، ورزق لا ينقطع، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: 169).

مركز الحضارة للبحوث والدراسات والتدريب

نبـــذة عـن حـــياة

الداعية المربي محمد العصار

(1366-1440هـ / 1947-2019م)

نشـــأته وتعـــليمه:

ولد الداعية الشهيد **محمد العصار** في مدينة دمنهور بالبحيرة بتاريخ 4 أبريل 1947م في أسرة مصرية بسيطة، لكنها كانت تقدر قيمة التعليم وطلب العلم؛ فنذرته لهذا الطريق، فسار في طريق **العلم**، وأخذه بقوة، وتميّز **بنبوغه وتفوقه** في جميع مراحل تعليمه؛ حيث كان ترتيبه **الأول** على الجمهورية في **الثانوية** العامة، كما كان ترتيبه **الأول** على دفعته في **هندسة الإسكندرية**.

انخرط في درب **الدعوة** بعد أن التحق بجماعة **الإخوان المسلمين**، وصار من أشهر أعضائها **الناشطين**، وتخصّص في ميدان **التربية** في الجماعة، فكانت له **بصمات** واضحة على **شباب الحركة** وعموم الناس.

في المعتقـــل:

اعتقل من منزله بدمنهور بالبحيرة في 3 نوفمبر عام 2013م، وحُكِم عليه من قِبَل **محكمة عسكرية** بالسجن 15 سنة، ثم خُفِّفت إلى 7 سنوات بعد الاستئناف، على ذمة القضية رقم 233 جنايات عسكرية، والمعروفة إعلاميًا بـ«**حرق مبنى محافظة البحيرة**» والتي يحاكم فيها 300 آخرون، وكان **المهندس العصار** قد قضى منهم فعليًا **أربع سنوات** على ذمة التحقيق.

وكان رده على **القاضي**: «**لن أكمل هذه المدة في سجني**».

وقال له **وكيل النيابة** أثناء التحقيقات معه: ما قولك في التهمة المنسوبة إليك بانضمامك إلى جماعة **الإخوان المسلمين**؟

فأجابه بتحدٍّ وثقة: **أنا لست منضمًا إليها فقط، أنا أيضًا رئيس مكتب الإخوان بمحافظة البحيرة، وهذه ليست تهمة... هذا شرف!!** فسكت وكيل النيابة... وانتكس!!

من مقولاته التى لا تنسى للمعتقلين حين نزولهم لجلسات المحاكمة: «**اذهبوا بالأمل وعودوا بالرضا**».

يقول أحد المعتقلين الذين صاحبوه في المعتقل:

«حاولت يومًا، أن أخفّف عنه، فابتسم وقال لي: «**يا بني، لا عليك، فأنا ربنا أراد بي الخير كله؛ هنا أنا معي رجال كثيرون، وهذه فرصتي لأبلغلهم بكل ما تعلمته طوال عمري من إخواننا الكبار في رحاب الدعوة، وستسمعونني رغمًا عنكم فإلى أين ستهربون مني؟**

أما غيري فى الخارج الذي هو في مثل سني، فإما نائم في بيته يأكل طعامًا مسلوقًا، أو يرقد في مستشفى، وتعلق له محاليل، لكن ربنا منّ

عليّ في آخر عمري بأن أكون أسيرًا ومرابطًا في سبيله، هل هناك خير أو فضل أكثر من هذا؟».

كان العصار يُذكّر إخوانه في المعتقل دائمًا بنبوءة الإمام الشهيد - بإذن الله - حسن البنا المبكرة عما سيلاقيه الإخوان من اعتقال وتشريد وأذى في سبيل دعوتهم:

«سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة أمامكم، وسيحاربكم العلماء الرسميون السائرون في ركاب السلطة، وستحاول كل حكومة أن تحدّ من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم، وستستعين بذوي النفوس الضعيفة، والقلوب المريضة والأيدي الممتدة إليها بالسؤال، وإليكم بالإساءة والعدوان، فتسجنون وتعتقلون وتشردون وتفتش بيوتكم، وتصادر أموالكم، وتثار ضدكم الاتهامات الظالمة، والافتراءات الكاذبة لتشويه سمعتكم والنيل من أقداركم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان، وعند ذلك فقط تكونون قد بدأتم تسلكون طريق أصحاب الدعوات.. إلخ».

الإمام حسن البنا

م. محمد العصار

استشهاده:

ارتقى م. محمد العصار شهيدًا - بإذن الله - يوم السبت الموافق 25 مايو 2019م عن عمر تجاوز اثنين وسبعين عامًا، داخل محبسه بمعتقل «برج العرب» بالإسكندرية إثر تعرضه لأزمة قلبية حادة، وعدم تلقيه العلاج والرعاية الطبية المناسبة لحالته.

جنازة مهيبة لرجل مهيب:

في مشهد مهيب حضره الكثيرون من محبيه وإخوانه وتلاميذه، شُيِّع المهندس محمد العصار إلى مثواه الأخير، ووقف أحدُهم على قبره مرددًا «**كل نفس ذائقة الموت**» سيموت الأقوياء، وسيموت الضعفاء... سيموت الشجعان، وسيموت الجبناء؛ فاختر لنفسك ميتة، ومن عاش على شيء مات عليه، وبعثه الله عليه يوم القيامة، وقد مات الراحل صائمًا في أيام رمضان المباركات، واختاره الله إلى جواره شهيدًا راضيًا - بإذن الله.

عندما يترجل الفرسان

بقلم:

د. صلاح عبد الحق

عُرِف العصار بسيرته الفذّة من حال صالحة قوية... فكان من أخلاف المسجد... وحفظة الكتاب، وأنضاء العبادة، وأطلاح السهر... يُشبه أبناء الربط والزوايا في نُسكهم وزهدهم.. وجدهم وجهادهم.. وتذوقهم وفيضهم.. وكان يؤمن أن كل أمر خطير يحتاج إلى حياة موصولة باللّه (جل شأنه)..

عرفته في ظروف صعبة ومجهدة.. كان محبًا لدعوته.. ملك عليه التفكير في شأنها والاهتمام بأمرها جوانب نفسه ونواحي قلبه، فكان دائم التفكير.. عظيم الاهتمام.. على أهبة الاستعداد دائمًا.. غدوه ورواحه.. وحديثه وكلامه.. وجده ولعبه.. لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له، ولا يتناول سوى المهمة التي وقف حياته عليها يجاهد في سبيلها.

تقرأ في قسمات وجهه، وتري فى بريق عينيه، وتسمع من فلتات لسانه ما يدلك على ما يضطرم في قلبه من جوى لاصق وألم دفين.. وما انطوت عليه نفسه من همة عالية وعزيمة صادقة.

يقولون كل دعوة تنتظر صاحبها يأتيها بأدوات نجاحها من أسلوب بسيط وحضور مشرق!!

عرفته ساحات الدعوة بأسلوبه البسيط المباشر، بعيدًا عن التعبيرات الفنية والأساليب الاصطلاحية... المعنى المقصود يشرحه، والاستشهاد المراد يوضحه... فيتركه في النفس وافيًا شافيًا ليس في حاجة إلى تساؤل ولا تفسير.

كما عُرف بحضوره المشرق المحبب.. ما جعل المعاني حاضرة في الأعماق تدخل النفس على مهل... دون إفحام ولا عناء.

كانت حياته صورة صادقة لما يؤمن به، ويعتز بالانتساب إليه.. كان يؤمن بأن من أقام من نفسه وازعًا للناس فليستغن عن الوازع؛ لأن الأمم

كان همّ العصار أن
يؤدي لله واجبه... ولا
يضيره إن انهزم! فلن
تكون هزيمة الضياع!!
بل هو ضعف مقدور
يتبعه نصر قريب!!

تتربى بالأسوة والقدوة.. لا بالأمر والشدة، وأن تربية الناس أمر صعب، وأصعب منه بدء الأمر بنفسه!! ولأن الناس لا يؤمنون حتى يرون أناسًا منهم يؤمنون ثم لا يكترثون بما يصيبهم!!

وأي نظام إنما يمثله الذين يقيمونه أكثر من المبادئ التي يدعون إليها.. وهو ما بايع عليه الإمام البنا يومًا أصحابه من بسطاء ومغمورين وأفذاذ مرموقين... أن يحسنوا القدوة حتى يتجمع حولهم آخرون على مثالهم، ينسجون على منوالهم!!.. والذين تكلموا عن أصحاب رسول الله يومًا قالوا إنه من الصعب وصفهم أنهم كانوا حكامًا فحسب، بل كانوا أساتذة يُعلّمون... وأئمة يصلّون.. وساسة يحكمون.. وأسوة يذكّرون الناس بالله ورسوله أينما ساروا ... وهو ما كان وراء ظهور الإسلام وذيوعه وانتشاره.. حتى أقبل عليه الناس مطمئنين.. سواء منهم من آمن به ودخل فيه.. أو آوى إليه وهو باق على اعتقاده.

عُرِف الرجل بسيرته الفذّة من حال صالحة قوية... فكان من أخلاف المسجد... وحفظة الكتاب، وأنضاء العبادة، وأطلاح السهر... يُشبه أبناء الربط والزوايا في نُسكهم وزهدهم.. وجدهم وجهادهم.. وتذوقهم وفيضهم.. وكان يؤمن أن كل أمر خطير يحتاج إلى حياة موصولة بالله (جل شأنه)..

كما عُرف بحضوره العقلي الواعي.. فجمع إلى جانب الفقه حسنَ الدراية، والتجربة الميدانية، وهو ما كان وراء توازنه واعتداله.. أمام تحديات هائلة، من شأنها كسر الإرادات... تدفعها إما إلى الانسحاب والعزلة.. أو الارتطام والصراع.

إلا أنه أبى أن يتورط فيما تورط فيه غيره.. أو يُساق إلى حيث يأبى أن يساق.. واحتفظ بنفسه في منطقة قوته من واضحات الدين.. من غايات وعزائم!!

كما عُرف بحضوره البدني الناشط.. فكان يبدو بعد رحلات شاقة في ظروف حذرة ومحرجة... غاية في القوة واعتدال المزاج.. يتحدث ويستمع ويُفصل في الأمور من غير ضجر ولا ملل.. ولا ضيق ولا تأفف.. ولا تسويف ولا تأخّر..

فالتأخر ضار بفكرتنا، مخالف لتعاليم ديننا.. وأما التسويف فلا أضرّ منه..!!

كما عُرف بذوقه الخاص في إلف المشقة وتعوّد الخشونة.. فكان بسيطًا في مأكله ومشربه.. زاهدًا في لبسه ومظهره.. متواضعًا في بيته ومسكنه.. خشنًا في مسالك حياته وأنماط عيشه.

كان يبدو كالجندي في الثكنة، ينتظر الأمر! حتى إذا اشتد الخَطْبُ ترجّل مع الفرسان!!

فلا يتخلّف عن الواجبات مهما كانت أعذاره، مدركًا أنه إذا قصرنا فسيتضاءل هذا النظام حتى يموت، وفي موته أكبر خسارة للدعوة؛ وهي اليوم أمل الإسلام والمسلمين!!

كان لا يَعنيه تصدّر المجالس.. وحمل أفخم الألقاب.. أو الظهور بأكبر المظاهر.. لا يلتفت إلى غير نصيبه الذي لا يفوت؛ حيث ما عند الله من الرضا والمتاع.

كان همّه أن يؤدي لله واجبه... ولا يضيره إن انهزم! فلن تكون هزيمة الضياع!! بل هو ضعف مقدور يتبعه نصر قريب!!

فإن قَتْلَ الصالحين والصديقين في هذه الدنيا ليس بالأمر الصعب!! ﴿ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون﴾ الآية.

عرفت ساحات الدعوة العصار بأسلوبه البسيط المباشر، بعيدًا عن التعبيرات الفنية والأساليب الاصطلاحية... المعنى المقصود يشرحه، والاستشهاد المراد يوضحه... فيتركه في النفس وافيًا شافيًا ليس في حاجة إلى تساؤل ولا تفسير.

فمن لم تؤده جهوده إلى الفتح، أدت بغيره وبجهوده.. ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم**﴾ الآية.

«أهلاً بالمهزوم» شعار عَرَفته ساحتنا يومًا!!.. فقد يُرى المرء مهزومًا رغم عدالته.. حسبه أنه يؤمن بقضية عادلة.. وقد بذل فيها وِسْعًا.. وقد كسب فيها جَوَلات.. وقد تحرر من عُقدة الخوف والنقص، وقد اختبر قوة عدوه!! فإذا هي قابلة للكسر.. ممكنة القهر.. وقد أذاقه طعم لَكَمَاته، وأنه لم يستسلم قط.. ولن يخضع أبدًا!

فلسنا في غزوة فتح تنجلي عن غلبة عاجلة!... ولكننا في معركة منظورة العواقب مرتقبة النتائج.. في ساعة النصر، وفي ساعة الهزيمة على السواء.. والآخرة وحدها موعد للفصل... وموعد للجزاء..

عُرف العصار بحضوره العقلي الواعي.. فجمع إلى جانب الفقه حسنَ الدراية، والتجربة الميدانية، وهو ما كان وراء توازنه واعتداله.. أمام تحديات هائلة، من شأنها كسر الإرادات... تدفعها إما إلى الانسحاب والعزلة.. أو الارتطام والصراع

فلما حل الأجل.. كان صاحبنا قد حسب حساباته واستعد للرحيل... مفسحًا لجيل آخر قد يكون هو جيل الانتصار!!..

فكلما سقط على الطريق ركب زاحف... خلفه على الدرب آخر ينتظر ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾ الآية.

رحم الله محمد العصار.. الجريء الشجاع.. الفتى السيّد... عزاؤنا بعد أن رحل ولم يرق عليه أحد دمعًا!! أنه قد دخل تاريخًا دخله شهداؤه!!.. سوف يقول فيه يومًا كلمته.. وأن كتابًا سُطِّرت فيه أسماء الضحايا سوف يروي عنه للناس قصته..

﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ الآية.

م. محمد العصار

د. صلاح عبد الحق

محمـــــد العصـــــار

وذكريات الهجرة والحب في الله

بقلم:

د. جمـال حشمت

عضو مجلس الشعب المصري السابق

كان العصار باسمَ المُحيًّا دومًا، هينًا لينًا، يستمع إليك جيدًا، ويدخل مدخلاً يُهدئ من أمامه في غير تفريط، ويدعم مكانته من غير تهويل، وكان يبدأ حديثه بنكتة أو طرفة ليُهيئ من أمامه للاستماع له بغير توتر، وكانت وقفاته في أثناء حديثه واستطراداته قد تنسيك أصل الموضوع الذي بدأ به، ثم يعود بك من حيث ابتدأ لتكتمل الفكرة الذي يريد أن يوصلها لمن أمامه.

كانت سنوات عمري الأولى فى **العمل الجماعي** في مرحلة الثانوية العامة، وقد انضممت إلى تجمع ناصري أفضى فيما بعد إلى منظمة الشباب الناصري، التي كانت وقتها الشكل الوحيد خارج أطر النظام القائم في بدايات حكم أنور السادات، واستمر ذلك لمدة ستة أعوام من 1971م حتى 1977م.

وبعدها التقيت بأخ حبيب يسبقني بعام دراسي واحد في كلية الطب، وهو أخي وحبيبي الخلوق د. بهاء عزت (رحمه الله وغفر له)، وكان هو أول من دعاني لحضور لقاء خاص مع أحد الإسلاميين لنسمع منه ما لم نسمعه من قبل، وكان هذا هو الأخ الحبيب الشهيد - بإذن الله - م. محمد العصار، وقابلته في منزله بشبرا لأول مرة، وترك في نفسي انطباع الإخلاص

والصدق والتفاعل مع ما يقوله، فأثّر فينا، وأحببنا استمرار لقائه حتى تم نقل اللقاء إلى بيت الحدّاد، وهو أول مكان يجتمع فيه الإخوان مع الشباب الملتف حول الفكرة الإسلامية ويجذبهم أمثال م. العصار.

وقد كان م. العصار أحد ثلاثة بدؤوا الدعوة مع أ. محمد الدسوقي (رحمه الله) الذي قَضى في سجون العسكر عشرين عامًا، ثم خرج ليدعو إلى الله في مسجد التوبة بدمنهور؛ يعلم الشباب النون الساكنة والتنوين، ويحببهم في الالتزام بمنهج الإسلام.

وكان الثلاثة هم: محمد العصار، ومحمد سويدان، ومحسن القويعي، وكان كل منهم له طريقة ونظام في طرح الفكرة والتعامل مع الشباب.

هكذا كانت البدايات.. أول من التقيت به هو العصار، وأول من أعلن أننا مع الإخوان المسلمين هو القويعي، ورغم ما نعلمه سماعًا عن الإخوان، وما حدث لهم في الخمسينيات والستينيات وتاريخ العائلة، حيث إن خالي عبد الرحمن عثمان (رحمه الله) وقت أن كان طالبًا في كلية الحقوق اتهم في قضية «سيارة الجيب» المشهورة، وسمعت عن عذابات والدتي وأسرتها معه في هذا التوقيت الذي

كم من أخ احتدّ على إخوانه أو اختلف معهم أو أخذ جانبًا، فكان محمد العصار أول من يحرص على لمّ الشمل، وكان يحذر دائمًا «إنها الحالقة»، لا تتركوا إخوانكم فريسة لشياطين الإنس والجن»

ترك بصمة الخوف من تكرار التجربة، لكن حسن الخلق مع الوالدين وكل من حولك يبدد هذا التخوف، ويُسكِن هذا القلق.

كان العصار باسمَ المُحيَّا دومًا، هينًا لينًا، يستمع إليك جيدًا، ويدخل مدخلاً يُهدئ من أمامه في غير تفريط، ويدعم مكانته من غير تهويل، وكان يبدأ حديثه بنكتة أو طرفة ليُهيئ من أمامه للاستماع له بغير توتر، وكانت وقفاته في أثناء حديثه واستطراداته قد تنسيك أصل الموضوع الذي بدأ به، ثم يعود بك من حيث ابتدأ لتكتمل الفكرة الذي يريد أن يوصلها لمن أمامه.

كان (رحمه الله) يتكلم لهدف، ولم يكن ممن يَهذُون أو يشغلون أوقاتهم بكلام لا قيمة له، بل دائمًا ما كان يتحول الحديث إلى معانٍ وأحكام ونصائح وتوصيات، فلا تخرج من لقائه خاليَ الوفاض قط.

كان م. العصار لا يحب الكلام التنظيمي، فلا ينشغل به وبمشاكله، فقد كان عقلاً وقلبًا كبيرًا يحمل فقهًا وحبًا لمن حوله، رغم أنه كان كامل السمع والطاعة والتقدير والحب لكبار وقدامى الإخوان أصحاب المحن، فقد كان أمامهم ضعيفًا، وكان يثق في قيادته ثقة كبيرة،

كان م. العصار لا يحب الكلام التنظيمي، فلا ينشغل به وبمشاكله، فقد كان عقلاً وقلبًا كبيرًا يحمل فقهًا وحبًا لمن حوله، رغم أنه كان كامل السمع والطاعة والتقدير والحب لكبار وقدامى الإخوان أصحاب المحن

يدعمهم دون تفاصيل، فقد كان لديه ما يشغله بعيدًا عن أي خلافات.

اجتمع على حبه وتقديره أغلب الإخوان الذين التقى بهم، وكان كثير السفر والترحال في محافظته وفي مصر، ثم في الخارج، حتى عندما سافر للعمل في السعودية كمهندس كهرباء طاف المملكة مع إخوانه على إخوانه، ولم يَطُل به المقام كثيرًا، فعاد إلى مصر يستمتع بدعوته وجولته وسط إخوانه في مصر، وكأنه سمك أُخرج من الماء، ثم عاد إليه!

في أحد الأيام، علمنا أن شركة توزيع الكهرباء في البحيرة على وشك مدّ مصنع للخمور في منطقة النوبارية بمصدر للكهرباء، وعلمنا أن المهندس العصار قد اتخذ موقفًا يعيق إتمام هذا الأمر، وقد كان مؤشرًا على بداية إعفائه من مناصب قيادية في الشركة.

كما ذهب في بعثات تدريبية للخارج على أجهزة وأنظمة جديدة، لكنه عاد منها وقد وجد أن أحدًا ليس حريصًا في الغرب على تعليمنا أو مدّنا بأي معلومة، فقد كانت معظم التعاقدات تشترط الصيانة على الشركة الموردة حتى لا تمنحنا فرصة معرفة أسرار الأجهزة التي يوردونها لنا، فقد كانت البعثات للّهو والرذيلة وتضييع الأوقات وإفساد الأخلاق لمن هيَّأ نفسه لذلك.

في أحد المخيمات الشاطئية – على ما أظن رأس البر – كُلِّفت بمهمة إدارة الشقة التي كنت أقيم فيها، وكان لنا لقاء مساء كل يوم لمتابعة الأنشطة والأعمال التي تتم في المخيم، وأتذكر أني اقترحت على الشباب في الشقة أن نمنح فرصة بين الصلوات (وقد كانت جمعًا وقصرًا) لخاطرة

من أحدهم، وعندما قلت ذلك في لقاء المسؤولين وذكرته، فقال العصار: «**جميل جدًا، لكن الأصح أن جمع الصلاة لا تفريق فيها، واجعل ذلك بعد إتمام الصلاة**»، فتأصّلت في نفسي طريقة التوجيه، وتكررت بعد سنوات طويلة، عندما كنت مسؤولاً للأطباء، وأردت أن أجعل روح العمل إيجابية، وهو عمل تطوعي لا إلزام فيه إلا لمن يلزم نفسه، فقلت زيادة في الإنتاج وتسهيلاً للإدارة نُجري انتخابات لاختيار مسؤول الأسرة الطبية وقتها، ورغم أنه لم يكن هناك فرق كبير في النتائج إلا أن الإحساس بالرضا والالتزام بنتائج الاختيار كانت محفزًا قويًا للعمل.

وهنا كانت المخالفة التنظيمية وقتها، ولا أناقش صحتها من خطئها، بل جاءني العصار (رحمه الله) (وكأنهم عرفوا كيف المدخل إليّ)، وقال: «**ما فعلته شيء عظيم، نأمل في أن نُعمّمه، ونعمل به، لكن الآن لا داعي لتكرار ذلك**»، ولم أجد أيّ رد مناسب سوى «**حاضر إن شاء الله!**»..

هكذا كان العصار يجمع ولا يفرق، ينصح ولا يُحرِج، ويُمارس فقهه دون أن تدري.

كم من أخ احتدّ على إخوانه أو اختلف معهم أو أخذ جانبًا، فكان محمد العصار **أول من يحرص على لمّ الشمل**، وكان يحذر دائمًا «**إنها الحالقة**»، لا تتركوا إخوانكم فريسة لشياطين الإنس والجن.

العصـــار (رحمه الله)

شخصية فريدة وصفات حميدة

بقلم :

أ. خميـــس شمـة

داعية مصري

أهم ما كان يميزه (رحمه الله) أن ينقلك في حديثه إلى قضايا كبرى، يجب أن يهتم بها المسلم فتعيش بهذه القضايا وكلها متعلقة بالإسلام والمسلمين وأحوالهم، فتنسى معها مشاكلك الشخصية وقضاياك الثانوية البسيطة، فتنتقل بعد حديثه إلى الانشغال بتلك القضايا الكبرى، وهي حال المسلمين في شتى بقاع الأرض ودورك حيال ذلك الأمر

تتميز شخصية المهندس العصار بصفات لا تتوافر في كثير من الناس من النواحي العلمية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية، وقلما تتوافر هذه الصفات في أي شخص إلا نادرًا، وقد توافرت فيه (رحمه الله)، **ومن تلك الصفات:**

1 - في الفترة الأولى لمعرفتي به كداعية، وكنا في أواخر السبعينيات، كان يحدثنا عن شخصيات لم نسمع عنها من قبل، ولا تقع في دائرة اهتمامنا، منها على سبيل المثال: حديثه الشيّق عن جُلَيْبِيب الذي ظلّ يُحدثنا عنه وعن ظروفه الاجتماعية، وكونه أسود اللون، ولم يرغب أحد في تزويجه لدمامته، وقام بتزويجه النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكانت نهاية حياته في أحد المعارك. يبحث عنه فلم يجدوه في الأحياء ووجدوه شهيدًا وبجواره سبعة قد قتلهم، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) قتلهم وقتلوه، جُلَيْبِيب مني

وأنا منه، وظل يحدثنا عنه العصار حتى أحببناه، وكان تعليقه على هذه الشخصية أن المسلم له مشروع خاص غير بقية البشر، وهو مشروع العمل للآخرة، وهذا ما صنعه جُليبيب، ثم يختم حديثه بقول الحق سبحانه: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ (التحريم: 11).

2 - أهم ما كان يميزه (رحمه الله) أن ينقلك في حديثه إلى قضايا كبرى، يجب أن يهتم بها المسلم فتعيش بهذه القضايا وكلها متعلقة بالإسلام والمسلمين وأحوالهم، فتنسى معها مشاكلك الشخصية وقضاياك الثانوية البسيطة، فتنتقل بعد حديثه إلى الانشغال بتلك القضايا الكبرى، وهي حال المسلمين في شتى بقاع الأرض ودورك حيال ذلك الأمر.

3 - كان كثيرًا ما يحدثنا عن أسلوب النبي (ﷺ) في تربية أصحابه، وإبراز قضية السمع والطاعة، من خلال حديثه عن الثلاثة الذين خلّفوا عن غزة «تبوك» وقصة «كعب بن مالك»، حينما تخلف عن رسول الله (ﷺ)، وكانت نتيجته انضمامه إلى جماعة الصادقين بعد أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وهذا من الدروس العظيمة التي خرجنا بها، وهي تقوى الله وأن نكون مع الصادقين

كان حديث العصار المتكرر عن «جريح العابد» من ناحية العلاقة الأسرية، وخاصة مع أمه، وهي باب من أبواب دخول الجنة، ثم الحديث عن علاقة «جريح» بالمجتمع وموقف عوام الناس

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة: 119).

4 - كان كثيرًا ما يحدثنا عن توريث القيم، وتحقيق الأهداف من خلال سورة البروج وقصة الملك الظالم والساحر والراهب والغلام ودور كل منهم واهتمام أهل الباطل بتوريث قيمهم (**ادفع إليّ غلام؛ لكي أُعلمه السحر، فقد كبُر سني ودنَى أجلى**).

5 - كان حديثه المتكرر عن «جُرَيج العابد» من ناحية العلاقة الأسرية، وخاصة مع أمه، وهي باب من أبواب دخول الجنة، ثم الحديث عن علاقة «جريج» بالمجتمع وموقف عوام الناس.

6 - كان يقول: «**من تكلّم بخير نضج، ومن سكت ضمر**» (قاعدة). و«**حسبك من شر سماعه وحسبك من خير بلاغه**».

7 - كان يقول: «**أنت داعية يجب أن تذهب إلى الناس، وتغشى تجمعاتهم، وإياك والورع الكاذب؛ يندب الأخ إلى عمل فيتأخر حتى يأخره الله**».

8 - كان حديثه عن الرسول (ﷺ) ممتعًا، وإسقاطاته على الواقع مناسبة جدًا، كان يقول دائمًا قول أبي إمام الباهلي: «**أيها الناس إن هذه المجالس هي من بلاغ الله لكم، فإن رسول الله (ﷺ) بلغ رسالة الله إلينا فبلغوا عنا أحسن مما تسمعون، فإن نقل الإسلام للناس يتم عن طريق هذه المجالس**».

9 - كان يقول: «**من لم يشرح بهذا الدين صدرًا، ولم يقنع به عقلاً، ويريد أن يقيم هذا الدين بالعصا، فهو قاطع طريق وليس بداعية**» (قول الشيخ الغزالي).

كان يقول: «**إنه يجب أن يكون فيك من ريحة النبي (ﷺ)**».

10 - وأما الحديث عن شخصيته فحدث ولا حرج، **لم أره يومًا متبرمًا من حديثه مع أحد، ولم يستطع أحد أن يخرجه من هدوئه أو ينفعل على أحد يحدثه**، فيه من الصفات الشخصية ما تجعله شخصية منفردة بكثير من الصفات الطيبة، لم أرَ أحدًا يصطدم معه أو يأخذ منه موقف، كان محبًا لكل الناس، وحينما كان يعلم أن أحدًا في نفسه شيء منه كان يسارع في الذهاب إليه ويطيب خاطره.

كان لا يحب أن يظهر في المقدمة، ويقدم غيره حتى لو كان من يقدمه ما زال مبتدأ في الدعوة، وكان يعطي كل إنسان قدره ومكانته، كان لا يتحرج أن يجلس في أي مكان حتى ولو كانت مقهى طالما يوجد أناس يستمعون إليه، وهو يريد أن يوصل لهم فكرة معينة خاصة بترتيب الأولويات في حياة الإنسان، وما يجب أن يهتم به وهي العلاقة مع الله، وهذا ما كان يشغله.

11 - أعرف أنه كان له أصدقاء من كل النوعيات، ومن أصحاب توجهات متعددة، وكان لا يحدثهم عما هم عليه من أفكار، ولكن كان يجمعهم على فكرة العلاقة مع الله، وأن الحياة مهما بلغت فيها، فإن لها نهاية، وستقف بين يدي الله، فماذا أنت فاعل؟

12 - كان لا يحب أن يكلف أي إنسان أكثر من طاقته أو يبالغ في استقباله في حالة السفر أو يصنع له طعامًا، وكان يرفض ذلك بشدة.

أذكر أننا كنا في سفر بعيد، ورفض هو أن يُرهق من كنّا عنده بتوصيلنا بسيارته، وكان الوقت متأخرًا، حتى إننا استعنّا في ذلك بركوبنا

على سيارة محملة بالزلط والرمل، ونحن نجلس بين الزلط والرمل، ونتحرك يمينًا وشمالاً مع حركة السيارة وكثرة المطبات حتى وصلنا مع مطلع الفجر.

13 - كان لمّاحًا فطنًا ذكيًا، لا أنسى ذلك اليوم الذي ذهبنا فيه إلى عقيقة مولود، وكان سطح المنزل عليه من الأحباب الكثير، واستقبلنا على باب المنزل شقيق صاحب العقيقة الأكبر، وكان لم يرزق بالأولاد، وما كان من المهندس العصار إلا أن جعل كل حديثه في هذه الليلة عن نعمة الرضا، وبما قسمه الله سبحانه، وكأن الحديث كله انتقل ليكون عن ذلك الأخ الذي لم يرزق بالأولاد، وكان حديثًا شيقًا، بعد انتهائه جاء إليه ذلك الأخ وعانقه عناقًا ينمّ عن أن الرسالة قد وصلت، وخرج الجميع منشرح الصدر بذلك الحديث الذي أرضى جميع الحاضرين.

14 - علم أننا نجلس مع بعض الأصدقاء يوم الخميس من كل أسبوع أمام منشأة أحدهم، وطلب أن يجلس معهم، ورتبنا له لقاء، وكانوا من وجهاء القوم، وجاء وحدّثهم بحديث يتناسب مع مستوياتهم

كان العصار يرى أن المسلم له مشروع خاص غير بقية البشر، وهو مشروع العمل للآخرة، وهذا ما صنعه الصحابي «جليبيب»، ثم يختم حديثه بقول الحق سبحانه: {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} (التحريم: 11).

العلمية والثقافية وسنهم، وبعد أن انتهينا طلبوا أن يكرر هذا الحديث أسبوعيًا لما فيه من الإفادة للجميع.

15 - كُنا في رمضان، ودعانا أحد إخواننا على الإفطار ناحية الطريق الصحراوي، وذهبنا إلى القرية، وكان الإفطار في المسجد، وكان أهل القرية جميعًا حضورًا، وكان الطبخ وتجهيز الإفطار في المسجد، وكنا في الصيف، وبعد الإفطار كان حديثًا شيقًا عن القرآن ونزوله في رمضان، وطلب من الحضور أن يكون مع كل واحد منهم ورقة، وأن يكتب في وجه الورقة الآيات التي فيها «إن الله يحب» وفي الوجه الآخر يكتب «إن الله لا يحب»، ثم يعمل جاهدًا على أن يكون من الصنف الأول، ولا يكون من الصنف الآخر وصلينا العشاء والتراويح، وانصرفنا عائدين، وكان يومًا من أيام الله الطيبة.

16 - ذهبنا معًا إلى أخ كريم (رحمهم الله جميعًا)، وكان ميسور الحال، وكان المهندس يعمل في نفس شركة الكهرباء التي كان يعمل بها م.العصار، ولكنه كان يعمل بالخارج، وصنع لنا طعامًا جيدًا شهيًا، ولكن المهندس العصار رفض أن يأكل من هذا الطعام، وقال له:

كان العصار ينصح إخوانه ويقول: «أنت داعية يجب أن تذهب إلى الناس، وتغشى تجمعاتهم، وإياك والورع الكاذب؛ ينـدب الأخ إلى عمل فيتأخر حتى يأخره الله»

«**ائتني بما نحن متفقون عليه وهو الخبز والجبن فقط**»، ولم يأكل من الطعام الآخر، فأكلت أنا منه، وهو أكل الخبز والجبن، وكان يريد بذلك شيئًا آخر وهو خوفه من أننا مع تكرار هذا يصبح شغلنا الشاغل قضية الطعام وإعداده، وننسى مهمتنا الرئيسية وهي الدعوة واستغلال هذه المجالس في نشر دين الله، وتعريف الناس بدينهم، الأمر الآخر إن دلّ على شيء، فإنما يدل على شفقة المرحوم العصار بإخوانه جميعًا، وألا يثقل عليهم في قضية تجهيز وإعداد الطعام، خاصة وأن الذين كانوا يفتحون بيوتهم لنا هم من الإخوان الذين حالتهم الاقتصادية تجعل من قضية إعداد وتجهيز الطعام من النفقات الزائدة على القدرة، والتي قد تسبب لكثير من الإخوان شيء من الحرج، ومع الوقت قد تغلق هذه المنافذ والتي تمثل قبلة لنا في مجالسنا ولقاءاتنا، وكان دائمًا ما ينوه الأستاذ لهذا الأمر حتى لا تمثل لقاءاتنا عبئًا على الإخوان.

17 - وأذكر في هذا المجال أننا ذهبنا إلى أخ كريم في إحدى القرى، وكان مزارعًا ميسور الحال، وأقسم أن نأكل عنده، وأحضر لنا طاجن من اللبن الرائب بحالته، ومعه الخبز الناشف وطبق من الجبن القريش الذي جعل من المهندس العصار (رحمه الله) تنشرح نفسه ويبتسم، وينظر إليّ وأنا أنظر إليه شزرًا مستاءً بما جعله تقليدًا وعرفًا بين كثير من إخواننا، بارك الله فيهم جميعًا.

18 - قد يتصور البعض أنه بخيل لتوجهه ذلك، ولكن ما رأيته بعيني عكس ذلك تمامًا، كان لديه شقة من غرفتين، وكان قد أعطى الكثير من أصحابه وإخوانه مفتاح هذه الشقة التي تمثل صومعة خاصة به،

وتذهب وتفتح باب الشقة بالمفتاح الذي حصلت عليه منه وتصعد إليها فتجد على الطاولة في وسط الغرفة والتي بها أربع كنبات تجد عليها أطباق فيها من كل أصناف الطعام والثلاجة بها الطعام المطبوخ، ولو أردت أن تستريح بعد ذلك فتنام على إحدى الكنبات، وإن أردت أن تقرأ تذهب إلى الحجرة الأخرى التي بها المكتبة الخاصة به وبها جميع أنواع الكتب وفى شتى المجالات.

وأذكر أننى في أحد الأيام كنت أمر من أمام منزله فرأيت نور الغرفة مضيئًا، فصعدت وفتحت باب الشقة على أساس أنه موجود، فلم أجده ووجدت شبابًا لم أرهم من قبل، وجلسنا معًا بعض الوقت، ثم انصرفت وتركتهم.

19 - اتصلت به يومًا، وكان الوقت متأخرًا فردّ عليّ، قلت له: **معي أحد أحبابنا، وقد حدث بينه وبين زوجته ما يحدث في كثير من البيوت، وألقى عليها يمين الطلاق، ولم تكن المرة الأولى**، فقال: «ائتني به»، فذهبنا إليه فاستقبلنا، وصنع لنا طعامًا، ثم شربنا الشاي، ثم قال لمرافقي: **قُص ما حدث**، فقصّ عليه الواقعة، ثم قام المهندس العصار، وأتى بكل الكتب والآراء الخاصة بالعلماء في قضية الطلاق، وفي هذه الحالة التي حدثت، وخلصنا منها أن الذي حدث لا يعد طلاقًا، وأن ما حدث نتج عن إغلاق حدث مع أهله، وكانت فرصة لنا أن قرأنا آراء العلماء والمذاهب في هذا الشأن حتى صلينا الفجر، وانصرفنا، وذهب أخونا إلى بيته منشرح الصدر، وصالح أهله وفقًا لما تم الاتفاق عليه مع المهندس العصار (رحمه الله)، وقد حدث مثل ذلك كثير من الوقائع المتشابهة، والتي لا يمكن حصرها.

مناقب الداعية المحبوب

محمـد العصـــار

بقلم:
د. محمود محمد حسنين

كان المهندس العصار (رحمه الله) صاحب ذاكرة قوية إذا قابل شخص، وتعرّف عليه كان الأصل لا ينساه، فإذا قابله مرة أخرى في أي مكان ولو بعد سنوات يسلم عليه باسمه واسم أبيه، ويُذكّره بالمكان الذي تقابل فيه معه أول مرة، وما دار بينهم من حديث، فكان يترك في نفس الفرد انشراح الصدر وسعادة، ويشعر بأهميته لدى المهندس العصار

حياة العلماء والدعاة هي جزء من ذاكرة الأمة فالاطلاع عليها ضرورة دعوية للاقتداء والاعتبار، كما أنها تساعد على تعميق هوية وأصالة الأمة والحفاظ على التراث، وهو خير معين للداعية في سلوك طريق الدعوة إلى الله، فكان سيدنا سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) يُعلِّم أبناءه المَغَازي، ويقول «**هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوها**».

كما أن الاطلاع على قصصهم وأخبارهم يحيي ويلين القلوب، ويزيل قسوتها. يقول الإمام ابن الجوزي في صيد الخاطر: «**رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالح؛ لأنهم تناولوا مقصود النقل، وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها إلى ذوق معانيها المراد بها**».

كما أنه يستجلب الرحمات، فلقد رُوي عن سفيان بن عيينة، وابن تيمية قوليهما: «عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة، بما يحصل في النفوس من الحركة إلى محبة الخير والرغبة فيه والفرح به والسرور واللذة».

ولعل من هؤلاء الدعاة المهندس محمد العصار (رضي الله عنه وأرضاه)، فقد كان العصار يتمتع بصفات متعددة جعلته محبوبًا بين الناس عامة، وليس فقط بين أبناء العمل الإسلامي، نذكر من تلك الصفات:

1 - كان (رحمه الله) صاحب ذاكرة قوية إذا قابل شخص، وتعرّف عليه كان الأصل ألا ينساه، فإذا قابله مرة أخرى في أي مكان ولو بعد سنوات يسلم عليه باسمه واسم أبيه، ويُذكّره بالمكان الذي تقابل فيه معه أول مرة، وما دار بينهما من حديث، فكان يترك في نفس الفرد انشراح الصدر وسعادة، ويشعر بأهميته لدى المهندس العصار، وهذا الأمر كان ينطبق على الشباب صغار السن مثل الكبار، وتتمة لهذا الأمر إذا كان في لقاء أو مناسبة اجتماعية كعقيقة أو خلافه وتم تعارف بين الحاضرين الذين قد يكونون تقابلوا لأول مرة كان المهندس العصار يقوم بتسميع أسماء الحضور جميعًا من أول مرة الذين قد يكون عددهم أكثر من خمسين، وقد يصل إلى المائة فرد، فكان هذا يترك انطباعًا جيدًا لدى الحضور.

2 - كان (رضي الله عنه وأرضاه) مع مكانته ومنزلته بين إخوانه لا يحاول الحصول على الاهتمام من الحضور، فكان يجلس حيث انتهى به المجلس، ولا يحاول تصدر المشهد أو الحصول على اهتمام الحضور.

3 -صاحب ابتسامة هادئة مميزة، كنت أستشعر فيها كم تخفي هذه الابتسامة من هموم وتفكير وانشغال بأمور عظيمة وكبيرة.

4 - كان (رحمه الله) إذا قابلك في أي مكان في الطريق يقف ويسلم عليك، ويسألك عن أحوالك وأحوال الأهل، وإذا كان عندك مشكلة أو موضوع كنت تحدثت معه فيه من قبل كان يسألك عنه، وماذا حدث فيه، وماذا فعلت، فكنت تستشعر معه بأنه قريب منك وبمدى مكانتك وأهميتك عنده.

5 - لم يكن صداميًا، ولكنه كان يعالج الحدث أو الموضوع بأسلوب لا يترك في نفسك شيئًا من أثر هذه المعالجة وبشكل عملي وتربوي.

أتذكر في عام 1986م، كان هناك ملتقى للشباب، وكانت محاضرة لفضيلة العلامة الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد - أستاذ التفسير بجامعة الأزهر الشريف - وكان الذي يقدم الدكتور ومرافقًا معه المهندس العصار، وكان وقت إذاعة مباراة نهائي كأس العالم متوافقًا مع وقت المحاضرة، وكان عدد كبير من الحضور يريد مشاهدة المباراة ومتحمس لمشاهدتها، ويريد الاستئذان للخروج لمشاهدة المباراة، ولكن استطاع المهندس العصار بأسلوبه الهادئ أن يستوعب الأمر،

لم يكن العصار صداميًا، ولكنه كان يعالج الحدث أو الموضوع بأسلوب لا يترك في نفسك شيئًا من أثر هذه المعالجة وبشكل عملي وتربوي

واستمرت المحاضرة تقريبًا خمس ساعات أو أكثر، وخرج جميع الحضور منشرحين، وبدون أي تبرم من أحد، وكانت ساعات جميلة وعظيمة.

أنا الآن لا أتذكر ماذا قال المهندس العصار، ولا ماذا قال فضيلة المحاضر، ولكن الذي يحضرني الآن وأتذكره هي قدرته على امتصاص فورة الشباب وحماستهم، وتحويل هذه الحماسة إلى اتجاه آخر ومنحى آخر.

6 - كان (رحمه الله) متحدثًا لا يُشق له غبار، فاذا طُلب في درس أو محاضرة كان لا يمتنع أو يتردد أو يعتذر طالما أنه ليس مشغولاً في شيء آخر، وكان إذا تحدث لا يحب الحضور أن ينهي حديثه، وكان كثيرًا ما يطلب الحضور منه الاستمرار؛ لحلاوة حديثه، وعمق معانيه، وملامسته للقلب، وبساطته، وبدون تعقيدات فكرية.

7 - كان (رحمه الله) لكل موقف عنده قصة أو حكمة أو معنى يدخل بها إلى الموضوع، وكان - لسعة اطلاعه في مجالات مختلفة - إذا تحدث في موضوع من الموضوعات كان كثيرًا ما يتفرع عن هذا الموضوع تفريعات متنوعة ومتعددة أخرى. وكان(رحمه الله) عنده قدرة عالية على الربط بين

كان الداعية العصار إذا تحدث في موضوع من الموضوعات كثيرًا ما يتفرع عن هذا الموضوع تفريعات متنوعة ومتعددة أخرى. وكان (رحمه الله) عنده قدرة عالية على الربط بين تلك التفريعات بالموضوع الأساسي

تلك التفريعات بالموضوع الأساسي، ومما أتذكره الآن أنني سمعت منه كثيرًا قصة الغلام والراهب والملك والساحر، فكانت لا تنتهي القصة وسردها والخروج منها بالعبر والدروس المستفادة في محاضرة واحدة بل هي مستمرة، وفي كل محاضرة تسمع منه فوائد ودروس وعبر لم تسمعها منه في المرات السابقة، فكان دائمًا متجدد العطاء والفكر.

ولقد قرأت لأحد تلامذته وهو ينعيه: «**تُوفِّيتَ ولم تنتهِ وتُكمِل لنا قصة الغلام التي بدأتها منذ أكثر من ثلاثين عامًا**».

8 - كما أنه كانت عنده قدرة عالية على كسر حالة الملل، إذا وُجِدت بين الحضور بتغيير أسلوب الإلقاء، إذا كان المستمع لا يستوعب ما يقول، فكان كل اهتمامه أن يستوعب المستمع ويصل إليه المراد من المحاضرة أو الدرس، وكان يستخدم في ذلك أساليب متنوعة وشيّقة لا يمل منها المستمع.

9 - كان (رحمه الله) لمّاحًا ذكيًّا يستغل المواقف للخروج منها بأمور تربوية وعملية.

10 - فتح الله عليه بمفاتيح مهمة في الدعوة، دُعيَ يومًا إلى أحد لقاءات الطلاب في مركز من مراكز المحافظة التي يسكنها، فلبّى الدعوة، وكان عدد الحضور ضعيفًا، وبعد اللقاء كان الداعي له محرجًا أشد الحرج من ضعف عدد الحضور، فحاول الداعي له الاعتذار عن ضعف عدد الحضور، فما كان منه إلا أنه أثنى على اللقاء، وأن اللقاء كان طيبًا، وأن الدعوة ليست بالأعداد الكثيرة، وأنه يجب ألا ننظر إلى الأعداد الكبيرة والكثرة بأهمية كبيرة، وأن اللقاء لو كان فيه فرد واحد واستفاد من اللقاء فهذا نجاح كبير للدعوة، فرفع (رحمه الله) الحرج، ونبه الداعي إلى أن

الداعية يجب ألا يهتم بالعدد بمقدار اهتمامه إلى نوعية المدعو، وأنه لو استجاب واحد فقط من المدعوين؛ فهذا نصر للإسلام والدعوة.

11 - كانت له طبيعته وفلسفته الخاصة في الهدايا التي تقدم له من عامة إخوانه، فكان (رحمه الله) يتشدد في موضوع الدعوات الخاصة أو الهدايا، فكان لا يحب أن يتكلف أحد معه في الطعام والشراب، بل كان يدعو إلى البساطة وعدم التكلف، لكي لا يرهق أصحاب المكان التي يُدعى فيه.

دُعي ذات مرة إلى لقاء، وانتقل مع من دعاه إلى إحدى المراكز في المحافظة، وكان الداعي قد أعدّ شيئًا من الكيك يقدمه للحضور في اللقاء، وبعد نهاية اللقاء وفي طريق العودة أثنى (رحمه الله) على طعم الكيك، فقام الداعي بعد يومين بإعداد واحدة أخرى، وذهب بها إلى المهندس العصار (رحمه الله) في بيته وقدمها له هدية، فتأثر جدًا، وطلب عدم تكرار هذا الأمر، وبرّر ذلك بأنه لا يريد أن تكون دعوتنا مثل بعض الطرق التي يكون أغلب همها إكرام شيوخها برسائل منها الطعام والشراب، وبعد عدة أيام قابل المهندس العصار صاحب الهدية وشكره وأخبره أن الحاج محمد عبد الفتاح شريف قد تناول منها هو وبعض الإخوة الكرام.

12 - كان (رحمه الله) ذا منصب كبير في شركة الكهرباء بالبحيرة، ولكن مع ذلك كنت أرى فيه البساطة في العيش، فكان يسكن في مكان بسيط، وكانت أيضًا ملابسه بسيطة، ولكنها مهندمة نظيفة، وكان غالبًا ما يلبس الجلباب الأبيض.

13 - لم يسجن (رحمه الله) ولم يعتقل طيلة حياته إلا بعد انقلاب 3 يوليو 2013م، فقد كان أول اعتقال له واستمر حتى وفاته (رحمه الله).

ومما وصل إلى علمي أنه عندما سُئل: **أنت متهم بالانضمام إلى** جماعة الإخوان المسلمين؟ فكان رده: أنه ليس منضمًا لهم، بل هو مسؤول المحافظة فيها، فكان (رحمه الله)، وإخوانه صغيرهم قبل كبيرهم، مثالاً للتضحية والثبات والفخر، وكما قال الرئيس الشهيد - بإذن الله - محمد مرسي: «**لكي يعلم الأبناء والأحفاد أن آبائهم كانوا رجالاً لا يقبلون الضيم في دينهم**».

رحم الله المهندس محمد العصار وجعل ما بذله في ميزان حسناته، وشاهدًا له أمام الله، وشافعًا له في قبره، وأنيسًا له في وحشته، واحشره اللهم مع نبيك محمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة أجمعين.

الداعية المربي محمد العصار

صاحب العرض الفريد والعاطفة الجياشة

بقلم:

أ. محمد إبراهيم المغربي

«..معك وسيلة اتصال بالعرش، فلا تحرم نفسك منها، فلا بد أن يكون لك يوميًا اتصال بالملأ الأعلى. ولا بد أن تسأل نفسك: كم مرة تتصل بالموبيل الأرضي؟ وكم مرة تتصل بالسماء؟! (سبحان اللّه.. والحمد للّه.. ولا إله إلا اللّه.. واللّه أكبر)..»

الداعية المربي محمد العصار

عرض فريد وربط القديم بالجديد:

للداعية العصار أسلوب فريد وجديد في التحدث عن الصحب الكرام.. سمعت منه للمرة الأولى عن الصحابي الكريم ثابت بن أقرم، وهو يركز على الجانب العملي في شخصيته، ويقول: «**إن أصحاب التضحيات الكبرى قليلو الكلام كثيرو العمل**»، ويحذر (رحمه الله) من الورع الكاذب بأن تتنصل من حمل الرسالة، بحجة أنك لست أهلاً للدعوة، فهذا ما يريده الشيطان منك...التخاذل والتأخر، والحديث الشريف: «**لا يزال الرجل يتأخر حتى يؤخره الله**»، ويربط بين مواقف الرعيل الأول وواقع الدعوة الحالي فيضعك أمام مسئولية ضخمة، وأنك المسئول عنها أمام الله تعالى، ودائمًا ما كان يستخدم عناوين للقيم والمفاهيم التي يريد توصيلها، مثل:

- أينقص الدين وأنا حي؟
- أتنقض عرى الإسلام وأنا حي؟
- من عاش السيرة اقترب من رائحة الرسول.
- لا بد أن يرى فيك الناس حلاوة النبي (ﷺ).
- عظمة هذا الدين أن عقيدته سهلة ميسرة ومقنعة.
- لا تصارع على القيادة وقت الرخاء، فهذا ينافي الإخلاص.
- الجديد يعرف قدر القديم.

ويعلمنا أن أصعب العبادات عبادة الإخلاص، مستشهدًا بمواقف «ثابت بن أقرم» يوم مؤتة، ويضيف بقوله: «رضي الله عن ثابت ما لام أحدًا، وما عاتب أحدًا، ورفع الراية يوم مؤتة في صمت، أَمّر نفسه وقت الخطر، وهو دليل الإخلاص. كادت الراية تسقط، وأخذها ثابت بن أقرم، ودفعها إلى خالد بن الوليد، فقال خالد لثابت: «أنت أسنّ مني وأنت بَدريّ»، فأجابه ثابت: «والله ما أخذتها إلا لك، أنت أعلم بفنون القتال مني (القديم يعرف قدرات الجديد) تناغم وحب وإيثار... ثابت كان قبل الراية جنديًا، ولما حَمَلَ الراية أصبح قائدًا، ثم جنديًا وقت أن دفع الراية لخالد بن الوليد.

جندي - قائد - جندي في ساعات معدودة، وبهدوء، هل عندك استعداد أن تكون جنديًا ثم قائدًا ثم جنديًا؟ دون أن تَقلب الدنيا وتُقعدها».

صاحب روح وعاطفة:

كان يرسل لنا السلام والوصايا من سجنه حتى قبل وفاته وهو بالمستشفى، رغم بعد المسافات وصعوبة الوضع الذي كان فيه وأتذكر

قوله، الذي طابق عمله: «**فرق كبير بين أن تفيض من لسانك، وأن تفيض من قلبك، وإذا لم تنقل للناس دعوتك بعاطفة جفت دعواك وماتت، ولن يتأثر بها أحد، أنت لست مجموعة من النصوص، فالكتب تقوم بذلك، ولكنك العاطفة التي تحيي هذه النصوص**».

ويعلق على حديث «**لأن يمشي أحدكم في حاجة أخيه خيرُ له من أن يعتكف في مسجدي شهرًا**» وموقف **ابن عباس** المعتكف بمسجد الحبيب (ﷺ) مع الرجل المَدِين:

«**قبل قراءة الحديث، قال ابن عباس: إن صاحب هذا المقام والعهد به قريب، وبكى ابن عباس متأثرًا بموت رسول الله (ﷺ)، وبعدها نقل متن الحديث للرجل المدين نقلاً حيًا فأحيا النص بالعاطفة فأفاض بقلبه وعاطفته ولسانه**».

وتسمع منه (رحمه الله) مفهوم وقيمة عظيمة (**الدين نقل وعاطفة**):

- «**لما ذهبَ أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) إلى «أم أيمن» بعد وفاة الرسول (ﷺ) فبكت وبكينا ولم يتكلما وتذكرا موت النبي وانقطاع الوحي ثم انصرفا.**

- **من عاش السيرة اقترب من رائحة الرسول، فلا بد أن يرى فيك الناس حلاوة النبي (ﷺ).**

كانت الدعوة كلّ شيء في حياة الداعية المربي محمد العصار، حتى إنه عندما نُقل من السجن إلى المستشفى وصلتنا نصائحه ووصاياه وكانت نصيحة مودّع

- صاحب قلب كبير في التعامل مع المذنبين، ويفتح لهم الباب للتوبة.
- النبي (ﷺ) معصوم ونحن غير معصومين».

ويستشهد بكلمة الأستاذ الراشد بقوله:

- «لا يتوب أحد في هذا الكون إلا الإنسان، والخلائق كلها محرومة من التوبة إلا الإنسان، ويتوب العبد كي تتحقق صفات الله تعالى التواب والغفار».

ويوصي:

- «أكثروا من الاستغفار وإياكم أن تكونوا بُخلاء».
- «أَفْرِح ربّك بتوبتك؛ فالتوبة عندنا فريضة».

ومن طرائفه التي ذكرها وسمعها من الحاج مبروك هنيدي (رحمهما الله):

«شيخ صوفي له ابن اسمه حسن، فسأل عنه ولم يجده، فقال لأولاده: ربنا يقول: «لا تحوشوا أولادكم»، فقالوا له الآية ليست هكذا، والصحيح «لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله».

فقال أبو حسن: خلاص بقه يعني احنا غلطنا في البخاري».

كان الداعية العصار صاحب طرفة وأسلوب محبب، ولا تمل منه، ويربط الطرائف بالمعاني التي يريد توصيلها.

فن الدعوة مع كافة الشرائح رجالاً ونساءً وأطفالاً:

يجلس مع الأخوات، ويحدثهن بما يناسبهنَّ:

«إياك أن تقولي ليس عندي مثل فلانة!» وإياك أن تقولي فلانة عندها أكثر مني!»؛ فحظوظ الآخرة تقسم تقسيم جزاء: ﴿... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (الفرقان: 20).

ويقول لهنَّ:

«بدأت سورة القصص بربع كامل يتحدث عن خمس نساء (امرأة فرعون - أم موسى - أخت موسى - ابنتي شعيب)، وهي سورة التمكين ﴿ونمكن لهم..﴾.

ولما أراد الحديث عن التمكين بدأها بـ ﴿أن أرضعيه...﴾. فتكوين الأمم يبدأ برضاعة الأبناء، والأم التقيّة التي تهزّ وليدها فهي تهز العالم كله.

وسمعت منه (رحمه الله) حديثًا في فضل المرأة التقية المطيعة لزوجها:

«أن رجلاً جاء للنبي (ﷺ)، فقال له: إن زوجتي كلما دخلت عليها البيت قالت: مرحبًا برب البيت وسيّد أهله، فإذا وجدتني مهمومًا قالت آلدنيا؟ (أي حزنك بسبب الدنيا؟)، ألا تكفيك الآخرة؟ فقال النبي (ﷺ) أخبرها أنها عامل من عمّال الله، وأن لها نصف أجر المجاهد».

وسمعته يقول:

«أخبرت الأخوات بهذا الحديث في أحد اللقاءات، فبادرنّ بالزغاريد فرحًا وسعادة بحديث الحبيب (ﷺ).

مع الذكر والذاكرين، حديث «يُذَكِّرْنَ باسم صَاحِبِهِنَّ»:

عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):

«إِنَّ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ مِمَّا تَذْكُرُونَ التَّسْبِيحَ، وَالتَّحْمِيدَ، وَالتَّهْلِيلَ، والتكبير، وَإِنَّهُنَّ لَيَتَعَطَّفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرْنَ باسم صَاحِبِهِنَّ، أَفَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ يُذَكِّرُهُ بِهِ» (رواه مسلم).

يعلق أستاذنا العصار (رحمه الله) على هذا الحديث قائلاً:

«معك وسيلة اتصال بالعرش، فلا تحرم نفسك منها، فلا بد أن يكون لك يوميًا اتصال بالملأ الأعلى. ولا بد أن تسأل نفسك: كم مرة تتصل بالموبيل الأرضي؟ وكم مرة تتصل بالسماء؟! (سبحان الله.. والحمد لله.. ولا إله إلا الله.. والله أكبر).

وتسمع منه:

«يسألُنا الناس عن الشعبية.. الشعبية تأتي من السماء؛ لحديث أبي هريرة (رضي الله عنه): «إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل أني قد أحببت فلانًا فأحبه، قال فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض».

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَهنُ وُدًّا﴾ (مريم: 96).. ودًا: أي حبًا في قلوب العباد.

ويعلق العصار (رحمه الله) على قصة إسلام الصحابي الكريم «فضالة بن الملوح» بقوله:

- فُضالة قابل القدوة (صلى الله عليه وسلم) ساعة واحدة فتعلّم وتحول للإسلام.
- النبي (صلى الله عليه وسلم) غيّر قُسَاةَ العرب وكُفّارهم، وتحولوا للإيمان.

«.. فرعون كان غبيًا تكبّرَ واغترّ {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْر وهذه الأنهار تجري من تحتي..}. ونهايته كانت شؤمًا عليه وعلى من اتبعوه، وغرق في الأنهار التي كان يتكبر بها...»

م. محمد العصار

- إياك أن تكن مجادلاً أو معانداً، وإذا ظهر لك الحق لا بد أن تُذعِن له.
- إن أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخَصِم.
- ساعة واحدة غيّرت فُضَالة؛ فالقدوات الكبرى تصنع المعجزات.
- وعندما دعته المرأة التي كانت تدعوه قبل إسلامه تعفّف، وقال: «يأبى الله ويأبى رسوله (ﷺ).
- المؤمن يخطط لمشروعين:
  - المشروع الأول الصغير: حياته في الدنيا.
  - المشروع الثاني الكبير: خالدين فيها أبدًا.
- امرأة فرعون عاشت في قصر فرعون، وما ذابت في باطله.
- الهدف كان واضحًا ومشروع الآخرة كان حاضرًا: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ..﴾ (التحريم: 11).
- فرعون كان غبيًا تكبّرَ واغترَّ ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي..﴾ (الزخرف: 51).

ونهايته كانت شؤمًا عليه وعلى من اتبعوه، وغرق في الأنهار التي كان يتكبّر بها.

كان الداعية العصار إذا استشهد بآية أو حديث أو موقف من السيرة بكى وأبكى المستمعين له.. رزقه الله عاطفة جياشة كانت وسيلة ناجعة لإقناع من حوله

- ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (هود: 98).
- **وخسر مشروعيه الصغير والكبير، خسر الدنيا والآخرة.**

البساطة وعدم التعلق بالدنيا:

كان المهندس العصار بسيطًا في أكله ولبسه، ولا يحب الدعوات على الطعام الفاخر، متعللاً بتعب أصحاب البيت وإرهاقهم جسديًا وماديًا، وكذلك يرفض صرف الوقت بدون فائدة، ويلبي أي طلب للدعوة يرى فيه الخير دون النظر إلى بُعد المكان، وتجول داخل المحافظات المصرية، وسافر إلى الخارج داعيًا إلى الله، وتأثّر بطريقته في الدعوة طلاب من كل دول العالم.

تعريف جديد للسيرة النبوية:

سمعت منه هذا التعريف العملي:

«السيرة هي المشروع الرباني الذي جاء به محمد (ﷺ) عن طريق الوحي، ونقله لصحابته (رضي الله عنهم) وبدأ بفرد وانتهى بأمة.

وأنت مدعو لهذا المشروع في إعادة الأمة لرسالة النبي الأكرم (ﷺ). وقد أدخلك في المشروع نفسه، وحدّد لك المهمة، وألزمك بالعمل لدين الله، وتجديد رسالة النبي الأكرم (ﷺ) ونقلها للعالمين.

يحكي المهندس العصار (رحمه الله) عن إسلام خالد بن الوليد (رضي الله عنه):

لما دخل النبي الأكرم (ﷺ) مكة سأل عن خالد وترك له رسالة مع أخيه، وفيها: «يا خالد.. عقلك.. عقلك.. مثلك لا يترك الإسلام، ولو جئتنا لعرفنا قدرك، وقدمناك على من سواك».

وهو أسلوب راق في مخاطبة الكبار، وجذب الطاقات، وترتيب لعقل خالد وتهيئته وتحبيبه في الإسلام.

وننتقل إلى موقف عزل خالد (رضي الله عنه)، لما وصلت رسالة عمر بالعزل، تحدث رجل من المسلمين، وقال: «أبعد أن صارت سمنًا وعسلاً يعزلك»، فأجابه خالد: «أتحرضني أن أخرج على رجل طاعته دين؟».

وبذلك انتصر خالد مرتين: الأولى في الحروب والفتوحات، والثانية عندما انتصر على نفسه لما أمات الفتنة تحت قدميه، وعندما أراد الرجل أن يُحرضه على عصيان أمر الخليفة.

العرض السهل الممتنع لقيم الإسلام وتعاليمه:

تحدّث العصار عن عظمة هذا الدين بأن:

«عقيدته سهلة ميسرة ومقنعة، ويستطيع الرجل العادي أن يبلغه، ويقيم الحجة على من يدعوه في دقائق معدودة.

الرسول هو خاتم المرسلين، ولا نبي بعده، ولكنك امتداد للنبي والمبلغ للناس من بعده ﴿لأنذركم به ومن بلغ..﴾ (الأنعام: 19).

مواقف عملية بيني وبين م. العصار (رحمه الله):

- كان المهندس العصار مثالاً للانضباط، لا أذكر أنه تأخّر عن موعد رغم أنه كان يأتي من سفر في معظم لقاءاته معنا.
- إذا أخبرته بلقاء استبشر بالأجر ولا يعتذر إلا لو تعارض مع ارتباطه بموعد آخر.

- دعوته مرة إلى الغداء بالمطعم فقبل، ولكن أخبرني أنه قبلَ إكرامًا لي، ولكن اتفقنا في المرات القادمة أن يكون الطعام بسيطًا، وفي مكان اللقاء؛ حرصًا على الوقت.

- كانت هناك لقاءات يكون فيها بحضور أستاذنا الكريم محمد سويدان، وإذا قال له شيئًا التزم به وأمام الجميع، وكان شديد الاحترام لكل من سبقوه.

- لا يُحب الظهور، قابلته في رابعة وكانت المرة الأخيرة (رحمه الله) وقال لي: «**يطلبون مني أن أصعد لأتكلم على المنصة، فما رأيك؟** قلت له: قالوا لك وعليك تلبية الدعوة فصاح: **سامحك الله!!**. كان الظهور على المنصة شديدًا على قلبه، ولا يحبه.

- كنت أشكره دائمًا على جهده، فيقول لي: **أنت تجاملني كثيرًا، وهذا واجب عليّ لا يستحق كل هذا الشكر.**

- كان مستمعًا ومنصتًا جيدًا لأي متحدث أو سائل، رغم أن الإجابات حاضرة عنده، ولكن فن وخلق الاستماع لا يجيده الكثيرون.

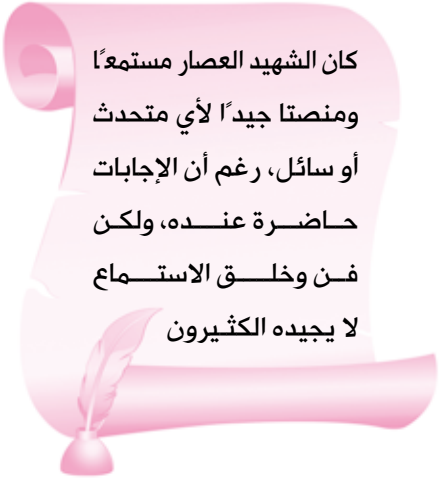

- لو استشهد بآية أو حديث أو موقف من السيرة

بكى وأبكى المستمعين له، رزقه الله عاطفة جيّاشة كانت وسيلة ناجعة لإقناع من حوله.

- رأيته يتحدث مع جميع الشرائح رجالاً ونساء وأطفالاً وبناتًا، ويقنع كلاً منهم بما يناسبه.

- أكرمه الله بنعمة عظيمة، وهي أن كلامه ونصائحه في وقت الرخاء والشدة تطابقت عمليًا في حياته، فكان مثالاً للقدوة في كلامه وفي مواقف حياته.

- الدعوة كانت كلّ شيء في حياته، حتى عندما نُقل من السجن إلى المستشفى وصلتنا نصائحه ووصاياه وكانت نصيحة مودّع.

- من خلال جولاته الدعوية أصبح له تلاميذ في جميع القارات، وأحيا (مفهوم الأمة) لدعوة الله، وأنها غير محصورة في قُطر معين، ولكنها تجوب الآفاق تأسيًا بحبيبه (ﷺ) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

رحم الله الشهيد العصار رحمة واسعة، وتقبله اللهم في الصالحين.

المهندس محمـد العصـار..

الداعية.. الزاهد.... الفواح

بقلم:
م. نور الدين عبد الحافظ
إعلامي ومقدم برامج مصري

> «الربانيون، إن أردت أن تراهم بشرًا، فهم أصحاب رسول الله (ﷺ)، أصحاب القطرتين:قطرة دمع في جوف الليل خشية ورهبة ورجاءً وطمعًا في رحمة الله. وقطرة دم تبذل من أجل إعلاء كلمة الله، هؤلاء أولياء الله حقًا، هم الرهبان بالليل والفرسان بالنهار، ليسوا أصحاب أجنحة، ولا قدرات خارقة، ولكنهم يجتهدون ويعملون وعلى الله يتوكلون والنتائج بيد الله..»
>
> م. محمد العصار

سهل ممتنع ذلك الأستاذ العصار.. بدون مقدمات يحتل مكانة في نفوس وقلوب من يستمعون له.

بشاشة الوجه ليست هي السبب الوحيد؛ فمعها أدب في المنطق، وعلم مغلف بحكمة وتواضع محبب. كلامه عطر فواح يحيط بعقل وقلب وعين المتلقي، فيحدث مزيجًا من الدهشة والتأثير المُفضيان للإقناع. وحين يمنّ الله على عبد صالح بالعلم والخلق والعقل والحكمة فحريٌ به أن يكون فريدًا مميزًا مؤثرًا، وهذا ما كانه العصار.

وحريٌ بمثله حين يغادر الدنيا أن تذرِفَ عليه ألوفُ القلوب المعطّرة بمحبته، المدينة له بعرفان وفضل وهذا ما حدث يوم رحيله.

عاش العصار مميزًا فريدًا، فكان الطالب الأول على مصر كلها في الثانوية العامة، وكان متفوقًا بارزًا على دفعته في هندسة الإسكندرية، وطوال عمله المهني والدعوي والاجتماعي والنقابي كان مميزًا مبدعًا محبوبًا.

سأله محقق الانقلاب العسكري:

ما قولك في التهمة المنسوبة لك بالانضمام للإخوان المسلمين؟

فكان رد الباشمهندس:

أولاً هذه ليست تهمة، فدعوة الخير شرف للساعي في سبيلها، وثانيًا أنا لست عضوًا في الإخوان، بل أنا مسؤول الإخوان في محافظتي.

هذا هو المهندس الداعية المربي المفكر محمد عبد الوهاب سالم العصار..

ولعل هذه التقدمة بين يدي الكتابة الوصفية عن (الباشمهندس) إشارة إلى صعوبة مهمة الكاتب، خصوصًا إذا كان تلميذًا محبًا وأخًا مكلومًا.

فمن أي زاوية يمكن وصف هذا العملاق.. وكيف تكون البداية؟.. وهل تفي الكلمات؟

قالوا عن العصار:

ن. د.:

العصار إنسان هداه ربه لدرب التميز، فعاش سالكًا ذلك الدرب، طالبًا ثم مهندسًا، ثم داعية مفكرًا ومؤثرًا، شاءت إرادة الله أن يتفاوت الناس في الأعمار والأرزاق، وأحسب أن أستاذي قد نال قسطًا من أخلاق أجيال الصالحين، فإن للأخلاق عبيرًا، وللحكمة آثارًا، وللعلم نتائج، وللعقل جمالاً.

د سامح السبع:

نشهد أنك كنت تسعى من أقصى مكان إلى أقصى مكان، تسعى وتنشر الخير والنور، نشهد أنك ما حرصت على جاه، وما سعيت لمكانة، وما توانيت عن توجيه، وما قصرت في شرح، وما قعدت عن تفهيم.

إن في الحلق لغصة، وفي العين لدمعة، وفي القلب لجرح عميق، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

رفيق الأسْر:

صاحبته فصدقني، لم يرضَ عن ذنبي، ولم يردَّه جهلي، قال: اختم يومك بتوبة ولا تنكسر للمعصية، أدّبني وعلّمني، فكان نعم الصديق معلمًا، والأخ الكبير مربيًا.

دُلّني على الطريق، قال: لا تكتم علمًا تعلمته، فإن الملائكة تستغفر لمعلّم الناس الخير.. رحمة الله عليك ومغفرته ورضوانه.. صديقي كان مهمومًا بدعوته.. راقي الفهم.. باسم المُحيّا.

العصار البار:

كان كلما قرأ قوله تعالى: ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ (النمل: 60) يشرد وتغزو عيناه قطرات الرحمة، نسمعه يقول: «الله يرحمك يا أمي.. الحاجة بهجة - وهذا اسمها -

أحسب أن أستاذي العصار قد نال قسطًا من أخلاق أجيال الصالحين، فإن للأخلاق عبيرًا، وللحكمة آثارًا، وللعلم نتائج، وللعقل جمالاً

كانت داعية رغم بساطتها، لا تترك مناسبة تتجمع فيها النساء دون أن تُذكرهم بأمر من الدين، ثم يتمثلها حبًا وهي تتحدث، يا بنات يا أم فلان، أنتم بتقولوا إن في سورة اسمها سورة الكرسي لا لا هي مش سورة، هي آيه في أكبر سورة، (سورة البقرة)، ثم تقرؤها لهم وتوصيهم بقراءتها بعد صلاتهم وقبل نومهم».

ثم يحدثنا عن فضل بر الوالدين، ودور ومكانة المرأة في الإسلام، مستشهدًا بدورها وحضورها القوي في سورتي النمل والقصص. رحم الله من كانت ذكراه دومًا تذكير بالخير.

كان دائم الحديث بالخير، حاول أحد رفاقه في المعتقل يومًا أن يخفف عنه ويشعره بسعادته بصحبته، فقال له العصار: «**يا ابني أنا في نعمة، وفرصة ربنا (ﷻ) جمعني بكم، ودي فرصة لأنقل لكم ما تعلمته من أساتذتي**»، ثم واصل حديثه: «**غيري ممن هم في مثل عمري نائم الآن في فراشه أو في مستشفى، وربي كتب لي أن أكون أسيرًا مرابطًا فهل بعد هذا خير**».. رحمك الله حضرة الأستاذ المعلم، اللهم ارحم أرواحًا فاضت في الميادين والزنازين.

من نصائح العصار للمفرج عنهم من الاعتقال:

«..إياك أن تمنّ على الناس بسنيّ حبسك، أيام في سبيل الله وانقضت!! لا تضيع أجرها في سمعة ورياء!..»

من خواطر العصار :

«أول ما نزل من القرآن (العَلق) اقرأ، تعلم، تدبر..

فكان (الفهم) الصحيح، أول ركن لبناء الشخصية المسلمة المجاهدة.

ثم نزلت (المزمل) ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ (المزمل: 6).

فأقامت الرسول (ﷺ) بالليل، فكانت الخبيئة والناس نيام، والعبادة ابتغاء وجه الله، حيث لا سمعة ولا رياء...

فكان (الإخلاص) لله هو ثاني الأركان..

ثم نزلت (المدثر) ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (المدثر: 2)..

سورة أقامته (ﷺ) بالنهار داعيًا إلى الله آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر..

فكان (العمل) المنطلق عن فهم صحيح وعلم وتقوى وإخلاص هو الركن الثالث من أركان نجاح العمل الإسلامي.

أي مشروع فيه نقص أو إهمال أو تقصير في أي ركن لن يكون من ورائه عمل كامل، ولن يحقق الغاية العليا.. رهبان بالليل فرسان بالنهار.

نصائح ليلة الإفراج:

كان «الباشمهندس» ينصح كل أخ صدر له قرار بالإفراج، ويوصيه بست وصايا:

الأولى:

صلاة ركعتين قبل الفجر، والدعاء لإخوانك بالثبات، والفرج القريب، فهم في أشد الحاجة للدعاء.

الثانية:

إياك أن تمنّ على الناس بسنيّ حبسك، أيام في سبيل الله وانقضت!! لا تضيّع أجرها في سمعة ورياء!

الثالثة:

لا تذكر كثيرًا لحظات الألم، تحدّث عن الصحبة الطيبة، لا تُرهبوا الناس، حتى لا ينفضّوا عن العمل في الدعوة لله.

الرابعة:

لا تذكر عيوب إخوانك.. عشنا معًا سنين، دون تجمّل وتكلّف، واذكرهم بالخير، واستر عليهم عيوبهم.

الخامسة:

إياك أن تيأس وتذوب وسط الناس، أنتم ملح الأرض، كن الكلمة الطيبة، تُعلّم جاهلاً، وتذكّر ناسيًا، وتُنضج عالمًا.

السادسة:

استكمل نقصك، اقرأ، تعلم، اجتهد أن تتحدث بالعربية، تجنّب ما يسيء لك، الناس تراك قدوة، فإياك أن تخذلنا.

سألناه يومًا عن الربانية فقال:

«هي أعلى مراتب الفهم الصحيح، والإخلاص والعمل من أجل نشر الدين والتمكين له في الأرض، والتضحية في سبيل ذلك بالنفس والنفيس، والجهاد والتجرد لله وحده، والثقة في موعود الله ونصره.

وهي أن تتعلم وتُعلِّم، أن تعطي بلا حدود وبلا مقابل، أن تكون مع الخالق بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس، ومع النفس بالمراقبة والمحاسبة. والربانية أمر إلهي لقوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: 79) (تعلمون - تدرسون).

وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: 146)...

قائد يلتف حوله جماعة تجاهد دون وهن وتنفق بلا حدود»..

ولقد تعمّد خصوم الدين تشويه معنى الربانية؛ فمنهم من صوّرها أنهم هم السفهاء والمجاذيب أصحاب الملابس البالية.. «يقولون عنهم بتوع ربنا»، ومنهم من صوّر الربانيين على أنهم من يطلق عليهم أصحاب الخطوات والمكشوف عنهم الأحجبة والسحرة! (المتوسلون بالأضرحة، والمتعبدون في الموالد).

الربانيون، إن أردت أن تراهم بشرًا، فهم أصحاب رسول الله (ﷺ)، أصحاب القطرتين: قطرة دمع في جوف الليل خشية ورهبة ورجاءً وطمعًا في رحمة الله.

«..الفارق الجوهري بيننا وبين الصحابة الكرام، أنهم: كانوا (قليلي الذنب، سريعي التوبة، ولا يبررون). أما نحن.. (فكثيرو الذنب، بطيئو التوبة، ونبرر!)..»

م. محمد العصار (رحمه الله)

وقطـرة دم تبـــذل من أجل إعلاء كلمة الله، هؤلاء أولياء الله حقًا، هم الرهـبان بالليـــل والفرســـان بالنهار، ليسوا أصحـاب أجنحة، ولا قـــدرات خـارقة، ولكنهم يجتهدون ويعملون وعلى الله يتوكلون والنتائج بيد الله.

يقول تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: 62)

من هم يا الله؟

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يونس: 63) فكانوا: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وطلحة وجعفر ومصعب، ومن بعدهم: صلاح الدين، وقطز، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية، وتابعيهم: البنا، وقطب، وأحمد يس، والرنتيسي، والشهداء في كل بقاع الأرض.

سألنا يومًا:

ما الفـرق بيننا وبين الصحـابة الكرام؟

كلنـــا جاوبنا إجابات نمطـية، لـم نلمس الفروق الشخصـية بيننا وبينهم، كـنا نرى الـفروق باختلاف الظـــروف!

فقال:

«بيننا وبين أصحاب رسول الله (ﷺ) الأخيار الأطهار (رضي الله عنهم) فروق ثلاثة جوهرية.

نعم، كما قلتم، هم عاصروا رسول الله (ﷺ).

نعم صحيح ولكن أيضًا عاصره غيرهم ومن أهله ولم يؤمنوا به.

الفارق الجوهري بيننا وبينهم، أنهم:

كانوا (قليلي الذنب، سريعي التوبة، ولا يبررون).

أما نحن (فكثيرو الذنب، بطيئو التوبة، ونبرر!).

سيدنا أبو ذر، سبّ أخاه (بلال) وعايَرَه بأمه! ولكنه كان قليل الذنب، وبادر بالتوبة ولم يُبرّر لفعلته، ولم يتكبر واعترف بخطئه، واعتذر إلى أخيه.

الأمثلة عديدة، ويبقى الحرص على ندرة الخطأ والصدق والتوبة وعدم التبرير، أهم وسائل الانتصار على الذات، وتزكية النفس، وتطهير القلب من أمراض الكبر، والعُجب، وحب الذات.

وأخيرًا، أخطأ آدم (عليه السلام)، وأيضًا إبليس اللعين، ولكن شتّان بين من أقر وتاب وأناب، وبين من عاند وكبرت عليه نفسه.

أشعار عن العصار

أولاً : المصير

خد براءة من السجون
ومن الوجع ومن النفاق
هو دا كان الاتفاق
هو ده عهد الإله
إنك أنت تعيش لدينـــه
والطريق يبقى المصير
ف مكنش ينفع
تنتهي القصة ف سرير
لأجل ما الفكرة تعيش
والأثر يفضل عبير

النهاية تموت أسير

تلملم الناس اللي كانوا ليك تلامذة

وتواسيهم

تشرح الدرس الأخير

الصلاح أقوى السلاح

والخيانة ألف صنف مش كفر بس

والبقاء محتاج صلابة

عمر صاحب الفكرة ما يدوب أو يتوه

تبتسم لحظات.. وترحـــــل!!!!

تبكي م الحزن اللي جوانا الدمـــوع

بس نفهم..

اللي مات للفكرة.. عايش

واللي ماتوا..

اللي راضيين

بالخضــوع..

ثانيًا : صلاة غائب

وقالوا مات

وطار قلبي

برغم البعد والمسافات

وصل لهناك

وصلى عليك مع ألوفات

ما هو قلبي وكل قلب عاش وياك

شهد أنك نقي وأصيل

وأنك كنت في السكة

إمام ودليل

وكان وشك معاه بسمات بتأسرنا

وكان علمك يعلمنا

وكان ذوقك وكان أدبك بحق جميل

وكان المشي في السكة معاك محبوب

يا أطيب قلب دل العاصي على ربه

يا نور بيساعد التايه يشوف دربه

وكنت معاك بحس حقيقي إني كبير

وإنك أخويا يا عصار

ولما هاج الشر وكلابه

ثبت قلبك

وكنت هناك جبل عالي

وعلمت الشباب في السجن

ثالثًا : 3 لاءات

لا هنكفر خصوم فكرتنا والسجان

ولا نهدم جدار الدار بنار التار

ولا هندوب مع اللي تاه

هنفضل شوكة في حلقك يا سي فرعون

وهنكمل طريق الحق مهما يكون

وهنموت بإذن الله في ليلة قدر

وندعي ربنا المعبود تكون الجنة هي الأجر

وكان نفسي أكون وياك

يا أغلى حبيب

لكنك عارف أني مش هناك عندك

أنا مهاجر

وبكرة جاي

ما هو أنت كنت قلت لنا

في جلسة علم في الجامع

بأن المولى ربي حي

وإن الفرحة عنده هناك

عروسة من ورا شباك

بتستنا عريس تعبان من المشوار

في إيده سبحة الأذكار

وقلبه يمد في الخطوة

وشايل شيلة الدعوة

كلامه ضي

وربه حي

وبكرة جي

خلاص

انتهى المشوار

وألف سلامة يا عصار

ألف سلامة يا عصار

وفي الختام.. لروحك الطيبة تحية وسلام، يا من أطلقت صيحة المحبة والنصح لشباب الدعاة حين قلت لأحدهم: «**كن جريئًا مؤدبًا**»، وحين دافعت عن شعب مصر في آخر محاضرة لك قبل أن يسجنك المجرمون، قلت: «**لا تظلموا الناس، فهم لم يعرفوا معنى الحرية.. فالحرية وحدها تصنع الكرامة**».

سيدي المربي اللطيف، أراك في قول أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وهو يقول: (**من كانت فيه دعابة، فقد برئ من الكِبر**).

كنت سهلاً لينًا، كريم النفس، بشوش القلب..

سيدي المربي الحبيب.. لعل أمير الشعراء كان يقصد شبيهًا لك، حين قال:

وخذْ لـــكَ زادينِ: من سيـــرة ... ومـــن عمل صـــالحٍ يُدّخَرْ

وكن في الطريقِ عفيفَ الخُطا ... شريفَ السَّماعِ، كريمَ النظرْ

وكـــن رجلاً إن أتـــوا بعده ... يقـــولون: مرَّ وهذا الأثرْ

سيدي المربي الحكيم...

وداعًا... وإلى لقاء

مع العصـــار..

هكذا عرفته وهذا ما تعلمته منه

بقلم:

د. عصام منصور

كان العصار قارئًا مميزًا، له مكتبة كأرشيف المؤسسات الحكومية، عبارة عن أرفف تستهلك ثلاثة جدران من الغـــرفة، وبجوار الجدار الرابع كنبة يستلقي عليها ليقرأ، وباقي فراغ الغرفة عبارة عن أرفف معدنية مكتظة بالكتب يمر بينها بصعوبة لكثرتها.. هذا بجانب الانشغالات الدعوية الكثيرة، ناهيك عن الالتزامات الأسرية والحياتية.

من مع العصار؟

قبل الحديث عن علاقتي بالعصار، فقد يكون من الأوقع أن أقول في عجالة من أنا وأثر علاقتي بالعصار في هذا الأنا، فبضدها تتميز الأشياء، ومن الأثر يعرف قدر المؤثّر، وهو هنا المهندس محمد عبد الوهاب العصار.

أما أنا فطبيب اسمه: عصام منصور، ولدت عام 1955م، فقضيت طفولتي ومراهقتي في عصر الصوت الواحد، والإعلام الموجه بلا معارضة، حيث كان المعارضون في السجون سواءً كانوا من الإخوان المسلمين أو بعض الشيوعيين، ولا يشعر بهم أحد إلا ذووهم، وكان الراديو الرسمي والتلفاز ذو القناة الواحدة، ثم القناتين الحكوميتين يملآن رؤوس الشعب بما تُمليه مخابرات الزعيم من قوة وبأس ودعاية كاذبة أننا نصنع

من الإبرة إلى الصاروخ، وعرضوا على الشعب صاروخي الظافر والقاهر القادرين على ضرب قلب «تل أبيب» واللذان تبيّن بعدها أنها صواريخ من خشب، ولم يكن لدى المتشككين من المثقفين مصدر آخر لتلمس الحقائق إلا بعض الإذاعات الأجنبية الموجهة بالعربية كـ«بي بي سي» و«مونت كارلو» و«صوت أمريكا».

وسط هذا الضجيج الإعلامي المُسبح بحمد الزعيم، والمدعوم بأغنيات عبد الحليم الذي يهدد أمريكا بمصر عبد الناصر، وأغنيات أم كلثوم التي تقول في بعضها «حقّق المعجزات عزم جمال... فاحمدوا الله أن حباكم جمالاً».. كان منطقيًا وسط ذلك أن ننتشي - نحن الشباب - أن لنا زعيمًا اسمه عبد الناصر، ونتخيل أن جولة حرب مع اليهود سوف تستقر بعدها إسرائيل ومن يساندها في قاع البحر المتوسط، ورغم ما حدث من دمار شامل عام 67 أسموه مغالطة «نكسة» إلا أن الزعيم تخطّى الأمر بتمثيلية التنحي والرجوع فيه والتضحية بعبد الحكيم عامر ككبش فداء، ثم كبت الحريات أكثر بحجة التحضير لمعركة الثأر، وأنه «لا صوت يعلو على صوت المعركة»، ثم مات عبد الناصر في سبتمبر 1970م.

بموت الزعيم، تحركت داخلنا مشاعر قوية بأن مصر عمومًا ونحن خصوصًا فقدنا أبانا الذي كانت مصر وكنا في حِماه - حسب ما زرعوا فينا - فانضممت وغيري كثيرون إلى منظمة «الشباب الاشتراكي»، والتي يفترض أنها تحمل فكر عبد الناصر، ومرجعيتها الفكرية هي «الميثاق» الذي أصدره عبد الناصر أوائل الستينيات، والذي كان يتحدث عن حتمية الحل الاشتراكي، وكانت مقتطفات منه تعلق على حوائط الشوارع

وجدران المنازل والمصالح الحكومية مكتوبًا تحتها «من الميثاق» لا تزاحمها آية أو حديث.

وقضيت نحو ست سنوات في دروب ودهاليز هذا التنظيم وأساطينه الفكرية، حتى كان ما يسمى بلقاء ناصر الفكري السادس في صيف 1976م في جامعة «عين شمس»، والذي يضم الكوادر الاشتراكية من كل المحافظات، وكنت واحدًا من ستة عشر شخصًا يمثلون محافظة البحيرة ضمن نحو 400 شخص يمثلون مصر كلها، وفي هذا المؤتمر الذي امتد أسبوعًا سقطت أمامي كل مفاهيم ورموز الاشتراكية، وما سُميَ بالناصرية أمام تديّن فطري لأبي الجامعي (رحمه الله) الذي غرس فينا الاحترام والتقدير للإسلام الذي نحمل، وذلك بتفقده لصلاتنا وبث المثل والأخلاق الإسلامية، والتي لم أكن أدرك أنها تتعارض مع هذا الدرب الذي سلكته بعضويتي في منظمة «الشباب الاشتراكي» قبل هذا المؤتمر.

وأحسست، بل أيقنت، أني ضللت الطريق طيلة ست سنوات في تنظيم له خصومة شديدة مع الإسلام، لا يفصح عنها إلا للخواص الذين ظنّوا أني أصبحت منهم فخاب ظنهم، واضطربت اضطرابًا شديدًا كالمستيقظ من

عندما أراد صديقي أن يصف لي المهندس العصار - قبل أن أعرفه - قال لي: «اسمه محمد العصار، أبيض الوجه....» وقبل أن يسترسل في الوصف توقف فجأة وسكت برهة، وكأنه يبحث عن الوصف المميز، ثم قال: «هو شخص عندما تراه ستحبه» واكتفى بذلك.

كابوس، بل كنت فعلاً مستيقظًا من كابوس أضاع عليّ عقلي وديني وست سنين من عمري، وحمدت الله أنه لم يقبضني في هذه السنوات العجاف.

تعرفي على العصار:

ظللت أسابيع في حالة فقدان للتوازن، وبدأت أعيد حساباتي وقراءاتي، وبعد أن كان مبلغ علمي الذي أُدَلُّ به، والذي قصدوا أن يكون مبلغ علمنا أن كتاب «الأم» هو للكاتب «مكسيم جوركي»، ولكن الجهال غيرنا لا يعلمون ذلك، فوجئت بأن هناك كتابًا آخر اسمه «الأم» للإمام الشافعي، ولكن لفرط تجهيلنا بالإسلام كنا بالكاد نعلم أن هناك عالمًا في الإسلام اسمه «الشافعي»، فضلاً عن أن نعرف كتبه، وبدأت أغيّر طبيعة ونوع قراءاتي إلى الإسلاميات.

حدثت هذه التغيرات، وأنا في كلية الطب في الصف الرابع، وكان لي زميل وصديق بنفس الصف، ومن نفس بلدي «دمنهور»، لاحظ التغيّر والصراع العنيف الذي طرأ عليّ، فأخذ المبادرة وعرض عليّ أن يعرفني بشخص يساعدني على اجتياز هذا الصراع النفسي، وتلمس طريقي دون زلل أو شطط، ثم بدأ يصف لي هذا الشخص الذي كان يعرفه بحكم الجوار واللقاء في نفس المسجد في الصلوات «مسجد الأتوبيس» بشبرا بدمنهور، فقال لي: هو مهندس اسمه محمد العصار، أبيض الوجه.... وقبل أن يسترسل في الوصف توقف فجأة وسكت برهة، وكأنه يبحث عن الوصف المميز، ثم قال «هو شخص عندما تراه ستحبه» واكتفى بذلك.

مع حدوث هذا البركان والتغيير في نفسي، بدأت ألتزم بصلاة الجماعة في المسجد، وتعرفت على مهندس يكبرني بنحو 10 سنوات، اسمه محمد الحوفي، فكنا نلتقي أمام المسجد بعد الصلاة، ونمشي معًا قليلاً ثم نفترق، وذات يوم بعد صلاة العشاء التقينا كالمعتاد، ولكني وجدته منتظرًا أمام الباب غير متأهب للمشي معي ككل مرة، فسألته: هل تنتظر أحدًا؟ قال نعم.. أنتظر صديقًا ما زال بالمسجد، فانتظرت معه، فلما خرج صديقه سلّم عليه، وسلّمت عليه، ونظرت إلى وجهه الأبيض المريح وكأني أعرفه وآنس به، ولم أكن رأيته من قبل، فوجدتني أسأله: المهندس محمد العصار؟ قال: نعم.

كان لي زميل دراسة - حاليًا هو استشاري أنف وأذن - حدثت له ثورة نفسية، وفقد للثقة بالناس جميعًا تختلف في شكلها وأسبابها عما حدث لي، وكانت معرفته بالمهندس العصار هي الحل والعلاج، وكان من عرّفه به هو نفسه من عرّفني به؛ لأن ثلاثتنا من بلد واحد وبصف واحد في الكلية، والوسيط في الحالتين هو زميلنا الدكتور: عصام أبو علو - استشاري الأطفال حاليًا - وحكى لي هذا الموقف كلاهما.

وملخص الأمر أن هذا الزميل كان من أوائل المحافظة في الإعدادية وفي الثانوية العامة، وكان شديد الذكاء والإقناع إذا تكلم، وكانت له لازمة في الحديث يقولها كل حين تعبيرًا عن الاستغراب أو الاستحسان فيقول «يا سلاااام»، فلما التحقنا بكلية طب الإسكندرية عام 1973م، وكنا من دمنهور فنسافر كل يوم 60 كيلومترًا إلى الإسكندرية ونعود منهكين لنذاكر، بينما تعرّف هو على مجموعة من زملائنا من

الإسكندرية في نفس الصف، وكانوا يحبّون التنزه والسهر واللهو، ويعلم منهم أنهم لا يذاكرون فلا وقت عندهم للمذاكرة، ومر العام على ذلك وظهرت نتيجة الاختبار، فإذا بهذا الزميل المعتاد للمراكز الأولى على المحافظة يرسب في ثلاث مواد من أربعة، وإذا ندماؤه من الإسكندرية تتفاوت تقديراتهم الدراسية بين الجيد جدًا والامتياز، وهنا أُسقِط في يده، وأيقن أنه قد خُدع بل طُعن بغدر، وأنهم كانوا يُظهرون شيئًا ويفعلون شيئًا آخر، وبسببهم كانت أول مرة يذوق طعم الرسوب، والتقطه زميلنا المبارك د.عصام، فقال له: (**أريدك أن تتعرف على مهندس فيه شبه كبير منك في الشكل والأسلوب المقنع، ولكن بدل قولك يا «سلاااام» هو يقول «سبحان الله»**).

وذهبا معًا إلى بيت العصار الذي كان قِبلةً للشباب، فجلسا في غرفة استقبال فيها عدد من الشباب يتحدثون في مواضيع شتى، ومن آن لآخر ينصرف أحدهم أو يحضر آخر فيسلم ويجلس، يحدث ذلك بعفوية في الخروج والحضور وبلا رسميات، وهو منتظر المهندس العصار الذي حينما سيأتي سيصمت هؤلاء جميعًا، ويستمعون بإنصات قد يعقبه تصفيق كعادة المحافل الخطابية، وكان أحد الناس يذهب

«افعل ما لو عمّ لصلح».. هكذا ردَّ الداعية العصار على الشاب الذي أراد أن يترك صلاة الجماعة في المسجد؛ لأنه وجد في أئمة المساجد تراخيًا في القراءة، وعدم إطالة للركوع والسجود، وأراد أن يصلي في بيته على النحو الذي يرضاه، ويظن أن الله يرضاه

إلى المطبخ ويعود بصينية شاي يوزع منها على من حضر حديثًا، أو أراد أن يستزيد، وأثناء ذلك يتابع ما يقال، ويتدخل في الحديث برأيه، ثم ينصرف ليأتي بصينية ثانية، وامتد الوقت والعصار لم يحضر، فقال لزميلنا الوسيط: «لقد تأخرنا، دعنا نأتي في وقت آخر، وإن كانت رغبتي في لقاء العصار لم تعد كالسابق، وإنما أبهرني هذا الرجل صاحب صينية الشاي بكلامه القليل المقنع، وتعديل مسار الحديث، فلم يجعل لي رغبة للقاء العصار»، فقال له: هذا هو العصار.

السلاسة في تصحيح المفاهيم:

هذا الزميل الذي اقتنع بالعصار دون أن يعرف من هو التزم بسنن الإسلام وآدابه، وبدأ يتردد على العصار، وأخذته شرة الإسلام التي تأخذ كل من بدأ يُوغل في دين الله، فلا يعجبه حال الناس ويبحث عن الأمثل، ثم إذا شاء الله به خيرًا انتهت الشرّة إلى فترة توافق سنة النبي (ﷺ)، فذات يوم نظر في صلاة الأئمة في المساجد فوجد فيها تراخيًا في القراءة، وعدم إطالة للركوع والسجود، وحدثني بأنه لا يحب هذا الترخص في الصلاة، وأنه يحدث نفسه باعتزال المساجد والصلاة في بيته ليتسنّى له أن يصلي كما يحب من الإطالة، وحدث

من نصائح العصار الدعوية لإخوانه:

- «..وظيفتنا ألا نلوم الناس، بل أن نُوعّيهم بالحسنى إلى الغائب من دين الله».

- «وظيفتنا دعم الموجود وإيجاد المفقود».

أن كنـــا في طـريق جمعنا نحن الثلاثة هو والمهنـــدس العصار وأنا، فقال له هـــذا الخاطر، وأنه يفكر في اعـــتزال صلاة الجماعة وإقامتها بنفسه في بيته على النحو الذي يرضاه، ويظن أن الله يرضاه.

هذا السؤال لو قيل لي أو لغيري، لكان الحديث عن فضل صلاة الجماعة، وعدم إجازة طائفة من العلماء لصلاة الفز للقادر على الجماعة، وهي إجابة صحيحة وكافية، ولكن العصار (رحمه الله) شيء آخر، فلما سمعت جوابه قلت: هذا على عقب محمد (ﷺ) الذي عندما سئل عن شيء أجاب بما يَصلح إجابة عن أشياء، فلما سئل رسول الله (ﷺ) عن الرجل: يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء. أيٌّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله (ﷺ): «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**».. فالسائل سأل عن ثلاثة أسباب للقتال، أيها في سبيل الله، فجاء الرد يصلح ردًا على ألف ألف سبب آخر قد يعِن لسائل.. تذكرت هذا الحديث لما سمعت رد العصار؛ لأن الـــرد كان من هذا الباب يصلح ردًا لأي شيء يخطر ببالك غير ترك المســجد لإحسان الصـــلاة في البيـــت، حيث قـــال له هـــذه الكلمة العبقرية: «**افعل ما لو عمّ لصلح**»، أي إذا أردت فعل أي شيء، فانظـــر هـــــل لو عمـــل كـــل الناس ذلك تصلح الأمـــور أم لا؟.

وهنا، لو ترك كل الناس المساجـــد لإقـامتها بصورة أرضـــى في بيوتهم لهُجرت المســـاجد، وقِس عليها أي أمر مشـــابه فسيكون هذا رده، وبحثـــت بعـــدها في الشبكة العنكبوتية لأعرف صاحب هذه العبارة وعمن نقلها، فلم أجد لها صاحبًا، فقد كان هو ناحتها لأول مرة وببداهة وسلاسة وتلقائية لا تجدها إلا عند العصار (رحمه الله).

وحدث معي أمر مشابه، حيث كانت بداية التزامي بعد الكفر بالناصرية غير ملتزمة بمنهج محدد من المناهج المطروحة على الساحة، فكنت أتردد على أكثر من جماعة وفي كلٍّ خير، ولكن الخير لا يستوي، وأنا لم أكن أدرك بعد كيف أقارن بين الفاضل والأفضل والخير والأَخْيَر، وأذكر أنني مع البعض كنا ننشغل الليالي الطوال بأمور نراها من الدين رغم أن أحدًا لن يستفيد منها.

وذات يوم، وكان ذلك عام 1977م، كان اهتمامنا أن نبحث عن كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان، وكانت قضيتنا: «**هل خلكان بتسكين اللام أم بكسرها مع التشديد؟**»، وبعد عناء وبحث مني ومن غيري وصلت لشيء فيها، فقابلت زميلاً كان من المنشغلين معنا بمثل هذه الأمور فقلت له متهللاً «وجدت شيئًا في تشكيل خلكان»، وانتظرت أن ينتبه وتتسع عيناه ويقبل عليّ يسألني عن الكنز الذي وقعت عليه، ففوجئت به يعبس ويقطب جبينه ويقول لي: **نحن نلعب**، قلت له: **كيف؟** قال: **اسأل العصار**، وذهبت إلى العصار أسأله فلم يجبني، وتجاهل السؤال تمامًا، وحدثني عن واقع المسلمين الفعلي وماذا يجب أن يكون عليه الواقع، وغياب شرع الله عن دنيا الناس، وغياب أخلاقيات الإسلام وسننه عن الشارع، والتغريب والتغييب المتعمد لجعل الإسلام طقوسًا مكانها المسجد رغم شمول الإسلام لمناحي الحياة جميعًا، وكيف أن المسلمين لا يشعرون بهذه المصيبة، ووظيفتنا ألا نلوم الناس، بل أن نُوعّيهم بالحسنى إلى الغائب من دين الله، وكانت كلمته العبقرية الثانية «**وظيفتنا دعم الموجود وإيجاد المفقود**»، فخرجت من عنده حاملاً هم

هذا الدين دون أن أعرف «لام» ابن خلكان أهي مكسورة أم ساكنة، ولكني عرفت أنني أنا الذي يجب ألا يكون ساكنًا.

منذ ذلك اليوم، كنت أتردد على المهندس العصار في لقائه المفتوح يوم الثلاثاء من وقت إلى آخر، وتوطدت الصلة به بشدة، حتى لأظن أني من المقربين إليه والأحب إلى قلبه، ولا شك أنه كان حبيبًا للجميع، ولكني اكتشفت أن شعوري هذا هو شعور كل من تعامل معه، فالكل يشعر أنه أثير لديه ومفضل عنده، ولكن شاء الله أن عملي الدعوي يكون له علاقة مباشرة بطبيعة عمله الدعوي؛ مما جعل اللقاءات كثيرة والصلة وثيقة، تبدت في مارس 1981م عندما تزوجت وكنت خريجًا حديثًا رقيق الحال، فكان هو أول من خطر ببالي لأقترض منه مبلغًا أُتمم به حاجيات زواجي التي كانت بسيطة للغاية، وكان زواجه بعدي بأربعين يومًا، وتزوج في ذات الشقة التي كان يعيش فيها، وكم كانت معاناة الشباب الذين أرادوا مجـــرد دهان الشقة القديـــمة واعتراضه

كان العصار يبحث عن عبادات لا تخطر على البال، فحدثني يومًا - وكانت أيام انتخابات: «أخذت ملصقًا، وقلت أُعلّقه في طريقي لصلاة الفجر، كما يفعل الشباب، فكلما هممت بلصقه رأيت أحدًا مارًا فتوجست منه، فأرجأت ذلك إلى أن تمكنت بعد جهد من تعليقه، فأحسست أن عملاً كهذا إذا حسُنت فيه النية قد لا يقل أجرًا عن صلاة الفجر التي نزلت من أجلها».

على ذلك، مع أثاث متواضع لم يختلف كثيرًا عن أثاثي، مع الفارق أن هذا كان حال زواجي لقصر ذات اليد، وهو لزهد في القلب، مع القدرة على توسيع لم يرض هو به.

ومرة ثانية، ولكنها كانت في ترح لا في فرح، كان أيضًا أول من يخطر ببالي عام 1992م عندما توفي والدي، وأنا في السعودية، فاجتمع على حزن الفقد، وحرمان الوجود حال الدفن والعزاء، وكان المهندس العصار وقتها يعمل في مدينة أبها بالسعودية، فوجدتني أهاتفه وأسأله أن يدعو لوالدي وهو يُسأل، فدعا له وعزّاني وطيّب خاطري، فكنت بعد المهاتفة غيري قبلها.

انشغاله بالدعوة:

كان (رحمه الله) لا يرد دعوة طالما كان لها وقت عنده، ولا أعرف أو أسمع أنه أخلف وعدًا يومًا، ولذلك كان وقته كله مشغولاً، لدرجة أن أخته ماتت فصلّينا عليها، وحملناها إلى المقابر ودفنّاها في وجود أقاربها الذين بدؤوا يتلقون العزاء، وعندها فقط وصل المهندس العصار قادمًا من لقاء بمكان بعيد ليتلقى العزاء فلم يعتذر عن اللقاء، واجتهد ألا يتأخر لكي يدرك

> حدثني العصار حديثًا استقرأت منه كيف كانت عبادته، فذات يوم كان منهكًا للغاية لمرض ألمّ به، والتزامات دعوية لم يتأخر عنها رغم مرضه حتى حلّ عليه الليل، وقد بلغ منه الإعياء مبلغه، فكان يحدثني عن قدر تعبه، فقال: «كنت متعبًا لدرجة أني لم أستطع أن أتوضأ قبل أن أنام»، يا سبحان الله، كم توضأت أنا أو أنت للنوم وأنا صحيح معافى غير مجهد

عزاء أخته، وأظنّه لم يخبر من كان يحاضرهم بأن عنده حالة وفاة من الدرجة الأولى، وإلا لما رضوا أن يكون معهم وأخته تدفن.

وفي يوم آخر، وبعد الثورة عام 2012م، كانت عقيقة حفيدتي لابني، وحفيدتي في الوقت ذاته هي حفيدة أخيه الحاج حسين، فالمهندس العصار هو عم زوجة ابني، وكان لابد أن يحضر وقد دُعي وهو يعلم الموعد مسبقًا، ولكنه مشغول دومًا وتلبية دعوة العقيقة واجب شرعي واجتماعي وأسري، فكان لابد أن يحضر وقد حضر أقل من نصف ساعة فهذا ما استطاع تدبيره من الوقت، وخلال هذه الدقائق كنت جالسًا معه أنا وأخوه وأخي، فقال لي: إنه رتب لقاء مسجديًا بمسجد كل أربعاء من المغرب إلى العشاء، وأنه استقر تقريبًا بعد أن عقد هذا اللقاء لعدة أسابيع، وعجبت لأن هذا ليس من اهتماماته؛ فوقته لأغلى من ذلك من تصحيح المفاهيم وشحذ همم العاملين ولكنه خير، ثم طلب مني أن أحضر اللقاء التالي بحجة مساعدته، فحضرت - كما طلب - فتحدث نصف اللقاء وتحدثت نصفه، فطلب مني تكرار ذلك في الأربعاء التالي وقد كان، ولكنه حضر ولم يتكلم وترك اللقاء كله لي، فلما كان اللقاء التالي لم يحضر أصلاً، ووجدتني ملتزمًا بلقاء مسجدي أسبوعي، هو الذي رتّبه ورتّب له متحدثًا، ومضى هو لأعماله الدعوية التي لم تنته، فقد كانت عقيقة عمل لم يضيّع دقائها، بل جعلها تلبية دعوة، وصلة رحم، وترتيب عمل دعوي دائم لم يوقفه إلا الانقلاب العسكري.

وبذكر الانقلاب، فقد طلب مني عقب الانقلاب أن أصحبه لتجمعات الإخوان نشدّ من أزرهم، ونبعث فيهم الأمل، ونحدد لهم نقاط العمل، وكان هو عادة من يحدد العناوين التي يُفضّل الحديث

فيها، وكانت البداية في المساجد، ثم لما زاد التضييق انتقلنا من المساجد إلى تجمعات صغيرة، وطلب مني أن يكون لكل منا لقاءاته لتوسيع الدائرة إلى أن اعتقل هو وطُوردت أنا فسافرت.

عبادته:

الذي يرى قراءاته، وقد كان قارئًا مميزًا له مكتبة كأرشيف المؤسسات الحكومية، عبارة عن أرفف تستهلك ثلاثة جدران من الغرفة، وبجوار الجدار الرابع كنبة يستلقي عليها ليقرأ، وباقي فراغ الغرفة عبارة عن أرفف معدنية مكتظة بالكتب يمر بينها بصعوبة لكثرتها، فما في الغرفة من فراغ أقل كثيرًا مما بها من كتب، وكان يستشهد بالكتاب ويأتي به وهو يعرف ما في كل كتاب، وأين مكان الاستشهاد في الكتاب نفسه، بجانب الانشغالات الدعوية التي تكلّمنا عنها، بجانب الالتزامات الأسرية والحياتية، فتتخيل أنه لن يكون عنده وقت إلا للعبادات الواجبة دون النوافل؛ فمثله يفترض أن يكون مشغولاً عن خير بخير، صحيح أنه لم يكن يُحدّث أحدًا عن عبادته، فقط هو في المسجد في الأوقات الخمس في المكان الذي هو فيه.

كان يبحث عن عبادات لا تخطر على البال، فحدثني يومًا، وكانت أيام انتخابات، وكان موكولاً إلى الشباب أن يُعلّقوا الملصقات بصور المرشحين عن التيار الإسلامي على الحوائط في الشوارع، وغنيّ عن الذكر أنهم كانوا يُلاحقون أمنيًا ويُعتقلون رغم أن الترشيح كان قانونيًا، فقط لكي لا يكون للمرشح الإسلامي ملصق ولا دعاية تعرف الناس به وتدعوهم لانتخابه.

وغـني عن الذكر أيضًا أن هـذا العمـل لا يُطلب من كـبار السن والشيوخ، لكن العصار يقول:

«أخـذت ملصقًا، وقلت أُعلّقه في طريقي لصلاة الفجر، كما يفعل الشباب، فكلما هممت بلصقه رأيت أحدًا مارًا فتوجست منه، فأرجأت ذلك إلى أن تمكنت بعد جهد من تعليقه، فأحسست أن عملاً كهذا إذا حسُنت فيه النية قد لا يقل أجرًا عن صلاة الفجر التي نزلت من أجلها».

وحدثني أيضًا حديثًا استقرأت منه كيف كانت عبادته، فذات يوم كان منهكًا للغاية لمرض ألمّ به، والتزامات دعوية لم يتأخر عنها رغم مرضه حتى حلّ عليه الليل، وقد بلغ منه الإعياء مبلغه، فكان يحدثني عن قدر تعبه، فقال: كنت متعبًا لدرجة أن، وتخيلت أنه سيقول لدرجة أني نمت ولم أصلّ العشاء، أو لم أصل الوتر، ولكنه قال «لدرجة أني لم أستطع أن أتوضأ قبل أن أنام»، يا سبحان الله، كم توضأت أنا أو أنت للنوم وأنا صحيح معافى غير مجهد، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

بر الأم:

كان (رحمه الله) قبل الزواج يعيش - كما أسلفت - في شقة بالدور العلوي أمامها مكان لشقة ثانية تم بناؤها عند زواجه، فكان (رحمه الله) بعد الزواج إذا رجع إلى بيته يمر

كان العصار بعد الزواج يضطر أن يأكل في بيت أمه، فهو ليس بالذي يكسر خاطر أمه، ثم إذا وصل شقته وجد زوجته قد أعدت العشاء، فلا يعتذر، ويأكل بعد أكل مضطرًا وهو يخشى السمنة، فشكى ذلك إلى المربي الجليل أ.محمد الدسوقي؛ فقال له: «يا أخي.. اتخن في سبيل الله»

بالضرورة على باب أمه، ومع انشغالاته فليس له موعد عودة معروف، ولكن أمه تنتظره كل يوم بجوار الباب إلى أن تسمع طرقات رجله على السلم فتسرع بفتح الباب وتدخله الشقة، وقد أعدت له شيئًا يأكله فيأكل ما قدمت له، فليس بالذي يكسر خاطر أمه، فإذا وصل شقته وجد زوجته قد أعدت العشاء، فلا يعتذر حتى لا يُتهم بالأكل خارج المنزل أو أن الأكل لا يعجبه، ويأكل بعد أكل مضطرًا وهو يخشى السمنة، فشكى ذلك إلى المربي الجليل الأستاذ محمد الدسوقي (رحمه الله) فقال له: «**يا أخي.. اتخن في سبيل الله**».

كان (رحمه الله) نسَّابة:

كان إذا لقيه أحد قابله قبل ذلك يعرفه، ويقول له أنت فلان ابن فلان قابلتك في المكان الفلاني، ويذكر له شيئًا من ظروف اللقاء، وقد كنت أظن أننا فقط - معايشيه كثيرًا - هم من يعرفهم، حتى رأيت ذلك مرارًا، ثم حضرنا لقاء بمكتب الإرشاد بالمقطم في عام 2013م، وفوجئت بأن الناس من كل المحافظات يتسابقون للسلام عليه وهو يعرف كل واحد منهم باسمه، ويذكر له شيئًا عن مكانه ومعارفه فيه.

كان العصار إذا لقيه أحد قابله قبل ذلك يعرفه، ويقول له أنت فلان ابن فلان قابلتك في المكان الفلاني، حتى إنني حضرت معه أحد اللقاءات بمكتب الإرشاد فوجدت أن الناس من كل المحافظات يتسابقون للسلام عليه وهو يعرف كل واحد منهم باسمه، ويذكر له شيئًا عن مكانه ومعارفه فيه

التجرد والتعفف:

كان (رحمه الله) إذا دخل بيتًا وجاء وقت طعام لا يحرج أهل البيت أو يَجرحهم برفض الأكل عندهم، ولكنه يشترط أن يكون الطعام بسيطًا لا يُعضل أي بيت أيًّا كان وضعه المادي، فيرفض أن يُعدَّ طعام خاص أو يؤتى بطعام من مطعم، ولكن يطلب خبزًا وجبنًا، ولا مانع أن يكون معه سلطة ولا يزيد عن ذلك.

وقد جمعنا لقاء يومًا فيه شخص من مركز بعيد في المحافظة، وشكا لنا من المهندس العصار وهو يمزح قائلاً «**لقد حرمنى العصار من وجبة أرانب**» فسألناه: كيف؟ قال: كان العصار عندنا، وقد أعددنا غداء للموجودين عبارة عن طيور وأرانب وما يلزمها، فلما علم العصار غضب ورفض الأكل، وطلب إما جبنًا وخبزًا أو لا يأكل مطلقًا، فأقسم هذا الأخ أنه إن لم يأكل العصار فلن يأكل هو، فأقسم العصار أنه لن يأكل، فما زلت أذكر هذا اليوم الذي صنعت فيه طعامًا حُرمت منه.

الإخلاص:

لم أر العصار يومًا يتصدر مجلسًا إلا أن يُطلب منه، وكانت للإخوان دار بدمنهور تسمى «بيت الحداد»، يعقد الإخوان فيها لقاءاتهم، وكانت دارًا رحبة ولها برنامج توعوي، وكان كل داعية له يوم يتحدث فيه في الدار، وكان نصيب المهندس العصار يوم الأربعاء، فكانت الدار تكتظ بالحضور يوم الأربعاء دون غيره لسماع م. العصار، والمنطق المجرد يقول إن هذا عامل جذب نستفيد منه في جلب الناس لتسمع ما عندنا، ولكن صوت العقل والتربية والفهم الذي كان يمثله المسئول الأول للمحافظة

الأستاذ محمد الدسوقي كان يقول شيئًا آخر، فألغى حديث الأربعاء، ونهى المهندس العصار عن الكلام تمامًا، فكان يحضر ولا يتكلم ليضمن الأستاذ الدسوقي أن الذي يحضر إنما جاء مقتنعًا بفكرة وليس منبهرًا بشخص.

وقد التزم المهندس العصار التزامًا تامًا دون أن يشعر أحد منه أيّ تذمر، ولذلك عجبت يومًا عندما حدثت مشكلة ما، وطُلب من المهندس العصار ومني أن نذهب معًا لحل هذه المشكلة، فجهزّت في نفسي كلامًا كثيرًا لأبدأ أنا ثم يختم المهندس العصار الحديث ويلملم ما سقط مني، ويكون حسن الختام - كما أتوقع وكما هو معهود - ولكني فوجئت بأن المهندس العصار ابتدأ هو الحديث فبدأه وأنهاه، فلم أجد لنفسي مُصوِّغًا للحديث فلم أتكلم إلا بالمجاملات العادية، وأنا أقول في نفسي ليس العصار هو من يحب أن يستأثر بالحديث، فهو أستاذي وأنا أعرفه، وإن كنت اُنتدبت لهذه المهمة معه، ولكني أعرف قدري وأعرف قدره الذي لم يشعرني يومًا أني أقل منه، ولكن هذا دأبه مع كل الناس، تواضع مع إخلاص.

قلت في نفسي: هناك شيء لا أفهمه، فلما انصرفنا سألته عن سبب ذلك، ويفترض أن كلانا نُدب لذلك، وأنني كنت أنوي تمهيد الأمر للحل ثم تركه لك لتنهيه بالصورة التي تراها، فقال لي: «**حدثت معي تجربة في أَبْها في السعودية، وهي أني ذهبت ومعي آخر لحل مشكلة، وتحدث هو فأحدث مشاكل لم تكن موجودة أصلاً مما صعّب المهمة، فأردت أن أبدأ أنا**».

ففهمت عنه وقدرت ذلك، وتأكد عندي ما كان آكدًا أن كلام العصار لله وسكوته لله.

أنا والشيعة والعصار:

عام 1979م، وعندما كنت بالسنة النهائية بالكلية كان يدرس معي بنفس السنة زميل كويتي شيعي، ويبدو أنه كان صاحب رسالة يؤديها أثناء دراسته، وهي أن يشيّع بعض أهل السنة، فإذا عاد إلى بلده ترك وراءه دعاة للشيعة من أهل البلد، ولسبب لا أعرفه نصب شباكه عليّ؛ إذ رآني هدفًا لغايته، والعجيب أن زميلاً من كفر الشيخ من جماعة «التوقف والتبيّن» كان أيضًا يريد إقناعي بفكره، فكان كلاهما يكلمني تقريبًا كل يوم ليصرفني إلى مذهبه.

وكنت أقرأ كل يوم عن الشيعة والتكفير ودراستي، أما التكفيري فقد يئس مني وانصرف عني إلى غيري، وأما الشيعي فما زال يحاورني وأحاوره حتى انتهت الدراسة وانتهينا إلى إجازة ما قبل الامتحان، فأحسّ أني أفلت منه وأنه فشل، فلجأ إلى آخر سهم عنده لعله يُؤتي أُكلَه ولو بعد رحيله، فدعاني إلي مسكنه، فذهبت معه، وبعد واجبات الضيافة أهداني مجموعة فخمة جدًا من الكتب من حيث ورقها وتغليفها، فأخذتها وانصرفت، وبدأت أفرزها في البيت فإذا هي ما بين تفسير «الكافي»، وكتب عقيدة وفقه،

كان العصار إذا دخل بيتًا وجاء وقت طعام لا يحرج أهل البيت أو يَجرحهم برفض الأكل عندهم، ولكنه يشترط أن يكون الطعام بسيطًا لا يُعضل أي بيت أيًا كان وضعه المادي

فتلمست أهم مواضع الخلاف في التفسير كقوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ (التوبة: 40)، فمن يكون صاحبه عندهم؟! فوجدته يقول صاحبه أبو بكر ولا يلزم من قوله صاحبه أن يكون صالحًا.

ومواضع أخرى كقوله تعالى ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح: 18) فوجدت نفسَ اللَّيِّ للمعاني، فقلت في نفسي: أنا لن أستفيد بهذه الكتب ولن أُفيد بها، فحملتها إلى أستاذي المهندس العصار، وأخبرته حكايتها، وأظنه وضعها عنده في المكتبة، فلما توفي (رحمه الله) اتصلت بابنه المهندس أحمد، وأخبرته بهذا الموضوع حتى يبحث عنها ويتخلص منها أو يكتب عليها ما يفيد حكايتها، حتى لا يُفتن بها أحد، أو يظُن أحد أن المهندس العصار قصد اقتناءها.

أعرف كثيرًا عن المهندس العصار (رحمه الله)، ولكني أبيت أن أكتب إلا ما تذكرت مما عاينته أو كنت طرفًا فيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المهندس محمد العصار

الأستاذ الرائع والمربي الفاضل

بقلم:

د. فاروق عاشور

تعلمت من الأستاذ العصار سعة الأفق والمدارك؛ حيث كان يستخرج لنا عشرات الفوائد والعظات من مقولة يسردها لأحد العلماء لا تتجاوز سطرًا واحدًا، فكيف إذا ذكر آية من القرآن أو حديثًا لرسول الله (ﷺ)

كنت قد عرفت الأستاذ الرائع والمربي الفاضل المهندس محمد العصار للمرة الأولى عام 2007م، وكان نوعًا مختلفًا من الدعاة والمربين الذين التقيت بهم في حياتي أو استمعت لمحاضراتهم، كان مميزًا في شخصيته، وفي علمه، وفي إلقائه، وفي طريقة تفكيره.

وجدت عنده غزارة في العلم والفكر، يجود بها على من حوله بأسلوب شيّق ممتع بسيط عميق، يفيض العلم من بين يديه وعن جوانبه حتى يستحيل على من جالسه إلا أن يخرج بفوائد جمّة من مجرد مجالسته.

- تعلمت منه الكثير في فهم الإسلام والدعوة وعلو الهمة ومخالطة الناس.
- تعلمت منه أسلوبًا جديدًا في إعادة صياغة أفكاري بأسلوبي الشخصي.

- تعلمت منه سعة الأفق والمدارك؛ حيث كان يستخرج لنا عشرات الفوائد والعظات من مقولة يسردها لأحد العلماء لا تتجاوز سطرًا واحدًا، فكيف إذا ذكر آية من القرآن أو حديثًا لرسول الله (ﷺ).

- حينما عرفته، ثم نهلت من علمه استبشرت خيرًا؛ لأن في الأمة مثل هذا العملاق، والله شعرت بجمال الدين والدعوة، وعشت معه بالأمل.

- أصابني شديد الألم حينما علمت باعتقاله، إلا أنني ما تخيلته في أيام محبسه إلا بنفس الهمة والروح التي عرفتها عنه، ما تخيلته إلا معلمًا وناصحًا ومؤمِّلاً ومصبِّرًا لإخوانه وأبنائه في السجن.

- أما يوم وفاته (رحمه الله)، فلم يخطر ببالي إلا حديث رَسُولَ اللّه (ﷺ): «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» (متفق عليه).

- ولكن كان عزائي أن أستاذنا العصار ترك ميراثًا من العلم، وممن تربى على هذا العلم سيستمر من بعده صدقة جارية إلى يوم القيامة.

أسأل الله أن يغفر لأستاذنا العصار، وأن يسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، وكما جمعنا به على الخير في الدنيا أن يجمعنا به عند حوض النبي (ﷺ) يوم القيامة.

ذلكم مما علمنا العصار

بقلم:

د.إبراهيم عبد الرحمن

أذكر لفضيلة الداعية العصار تعفّفه عن مال دعوته، فقد رفض - حين ذهب يستأذن في السفر إلى السعودية لتأمين قوت أولاده - أن يعدل عن السفر على أن تتكفل الدعوة بذلك مقابل تفرغه وسياحته في الأقطار تربية لإخوانه وحراسة لفكرته الوسطية الراشدة.

أرى المربي الشهيد (م.العصار) من عطاءات الله لهذه الدعوة الماجدة، قلما يجود به الزمان.

فقد كان من نفائسه للمربين أن من يقومون على تربيتهم هم من الولد الصالح الذي يدعو لمربيه بعد انقطاع عمله، بل كان يرى أن من تقوم على تربيته قد يكون لك أنفع وبك أبرّ من ولد صلبك، الذي ربطته بك شهوة نفس أو منفعة مادية.. بينما من تربيه ربطك به ما هو أطهر وأبقى.

وما دام الأمر كذلك؛ فواجب المُربي أن يبذل قصارى الجهد في خدمة من يربيهم ويقوم على حراسة الفكرة الوسطية فيهم.

ومن وصاياه العملية في ذلك:

1 - إياك أن يكون حضور الأفراد إليك وغيابهم سواء (**صونوا أوقات من تربونهم..**)، ومؤشر نجاحك: أن يتحسّر المتأخر عن لقائك، ويندم على ما فاته من بركة جلوسه بين يديك.. فضلاً عن تغيبه!

ولقد رأينا ذلك واقعًا فيه (رحمه الله)؛ فقد كان دودة قراءة، صيانة لأوقات من يربيهم وخوفًا من التقصير في القيام بحقهم عليه، متمثلاً ومذكرًا دومًا بـ «من صاحب صاحبًا ولو ساعة من نهار، سئل يوم القيامة: هل أقام فيه حقًا أم أقام فيه باطلاً؟»، «إن هذه المجالس من بلاغ الله إياكم... فَبَلِّغُوا عَنَّا أَحْسَنَ مَا تَسْمَعُونَ».

2 - كما أذكر لفضيلته تعفّفه عن مال دعوته، فقد رفض - حين ذهب يستأذن في السفر إلى السعودية لتأمين قوت أولاده - أن يعدل عن السفر على أن تتكفل الدعوة بذلك مقابل تفرغه وسياحته في الأقطار تربية لإخوانه وحراسة لفكرته الوسطية الراشدة.

3 - كما أذكر له (رحمه الله) حرصه على نسبة الرأي وإرجاع الفضل لأهله، فبعد أن يذكر رأيًا أو فكرة - لاسيما إذا كانت رائعة - تراه يقول لك (**الكلام ده تلاقيه فين أو أنا استفدته من مين؟...**)، ثم يجيبك: «**عند فلان في المكان الفلاني، أو سمعته من فلان**».

وكان يكثر الاستشهاد بكلام الشيخ الغزالي، والأستاذ البهي الخولي، ود.عبد البديع صقر، ود. عبد الستار، وأ.محمد الراشد... فضلاً عن دقة استنباطه، وصحة فهمه، وروعة إسقاطاته لكلام سيدنا رسول الله (ﷺ)، ثم السلف الصالح.

4 - كما أذكر له (رحمه الله) تقديمه إخوانه وطلابه (وأنا منهم وشاهد على هذا) في بعض الملتقيات بنفسه، والفرح بهم، وتهلل وجهه سرورًا حين يفتح الله عليهم ويروقه عرضهم للفكرة، وإني لأراها أمارة إخلاص وكمال تجرد له (رحمه الله)، والله حسيبه.

5 - كما أتذكر له معايشته لإخوانه، وحرصه على توجيههم توجيهًا خاصًا، فقد طلبتُ نصيحته لي في تكويني الفكري فأجابني: **(يا أخ فلان: أنصحك بقراءة مشروع الغزالي الفكري كله، وكذا القرضاوي.. لتقف على مراحل التطور في فكر الرجلين وسعة فقههما الدعوي في حراسة فكرتنا، ونفسي يا فلان نركز على احترام التخصص فينا، وليحرص كل منا على خدمة فكرته من زاوية تخصصه، فذلك أنفع.. أما ما نراه على الساحة من غالب مثقفي المؤسسة، ففي القلب منه أسى، الكل أصبح خبيرًا استراتيجيًا في السياسة والخطط والجدل الذي لا ينبني عليه عمل... إلخ... ولم يفكر الكثير من هؤلاء أن يحترموا أقدار الله في الناس، أو**

أذكر للداعية العصار حرصه على نسبة الرأي وإرجاع الفضل لأهله، فبعد أن يذكر رأيًا أو فكرة تراه يقول لك (الكلام ده تلاقيه فين أو أنا استفدته من مين؟...)، ثم يجيبك: «عند فلان في المكان الفلاني، أو سمعته من فلان».

أن يرجعوا إلى تخصصاتهم المحضة فيخدموا بها فكرتهم.. فإياك يا ابني أن تزيد الطين بلة.. وأنا أرى - والكلام له (رحمه الله) - أن تخصصك الأكاديمي قليل جدًا بيننا، فلم يعد لك عذر في خدمة فكرتك ودعوتك من زاوية تخصصك).

ذلكم غيض من فيض مما علّمنا وربّانا عليه المهندس العصار.

رحم الله المربي الشهيد بإذن ربه (م. محمد العصار)، وأجزل مثوبته، ورفع درجته في المهديين، وجعل ما قدم خدمة لدينه ودعوته، وصبره على الابتلاء واحتسابه الأجر شفيعًا له، وألحقنا به على خير غير مبدلين ولا مفرطين، كرامة نفس وقُرة عين.

العصار وأجمل أيام الحياة

بقلم:
د. حمزة عيسى
القدس – فلسطين

مِن أين لهذا «الأستاذ الموسوعة» كل هذا الكم من المعلومات، بين أحاديث وآيات وأقوال سلف وربطها بواقعنا، وإنزالها إلى حياتنا اليومية في سلاسة وجمال يسحرنا فيها ويوسع مداركنا إليها...؟!

بِسْم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الفاضل المربي السيد/ محمد العصّار، رحمات ربي عليه.

ماذا أقول فيه؟!، وما عسى قلمي يكتب عنه!!

وهل مثلي يستطيع أن يوفيه حقه، في كلماتٍ طُلب مني رصُّ حروفها...؟

أنا مدين بعد اللّهِ لهذا الإنسان العظيم، والذي أفخرُ وأتشرّف بأنني جلست بين يديه واستمعت إليه وتتلمذت – ولو قليلاً – عليه.

إنّ من أجمل أيّام الحياة التي عشتها، كانت لحظات الصفاء وأجواء المحبة والإخاء التي عشناها وعشتها شخصيًا يوم أن كُنّا في دورة تربوية، وكان بطلُها الوحيد – أستاذنا الفاضل العصار!

لا أدري كيف أصف تلكم الأيام، ولا أعرف كيف أصف لكم ذلك الشعور...

- يكفي أن نعلم أننا كنّا ننتظر الصباح بشغف من ينتظر الحرية - ننتظره لنجلس بعد صلاة الفجر للاستماع إلى أستاذنا الفاضل وكلماته التربوية ومواعظه الدعوية...

- يكفي أن نعلم أنه عندما أتذكر تلك الأيام أكاد لا أصدق أن هذا حدث معنا بالفعل وعشناه حقيقة لعدة أيام...

- يكفي أن نعلم أننا كنّا نجلس من بعد صلاة الفجر حتى وقت متأخر من الليل نستمع لهذا الإنسان - وكأنّ على رؤوسنا الطير! - الدرس تلو الدرس، تاركين أمواج البحر وزقزقة الطير، مُتسمّرين على الكراسي، حتى فى فترة الاستراحة تجد أحدنا يسأل أستاذنا سؤالاً... فينطلق بالإجابة.. لتجدنا قد التففنا حوله لنسترق السمع ويتحول الجواب إلى درس آخر جديد!

مِـن أيـن لهـذا الشـيخ الستيني كُلُّ هذه الطاقة؟!

من أين يأتِ بالصبر وقوة التحمل والجلد؟!

مـن أين لهذا الإنسان كُلّ هذه العاطفة، وهـذا الحب لعرض أجمل ما عنده وزبدة تجاربه الدعوية؟!

مِن أين لهذا «الأستاذ الموسوعة» كل هذا الكم من المعلومات، بين أحاديث وآيات وأقوال سلف وربطها بواقعنا، وإنزالها إلى حياتنا اليومية في سلاسة وجمال يسحرنا فيها ويوسع مداركنا إليها...؟!

كان معينه الوحيد طوال ساعات اللقاء «كاسة شاي»، يجلس بها ساعة..

تبرد ولا يبرد قلبه، يرتشف منها رشفات ليتركنا للحظات نتفكر فيما قد قاله... ذكريات جميلة وكأنها ترتسم أمامي وأنا أخط هذه الكلمات!

وفِي نفس الوقت أفكر: كيف كنّا نستطيع الجلوس لنستمع إلى إنسان كل هذه الساعات الطوال، دون كللٍ أو ملل؟!

كيف كنّا لا نريد لليل أن ينتهي.. وإذا انتهى تكاد قلوبنا لا تصبر حتى بزوغ الفجر... في انتظار كلام الأستاذ المربي والالتفاف حوله والاستماع إليه؟!

أيّ موهبة هذه؟!، أيُّ عاطفةٍ هذه؟!، أيّ جاذبيةٍ هذه؟!، أي طاقة هذه.. دفعتنا للجلوس إليه في صمتٍ وتفاعل.. في شغفٍ وتواصل؟!

الإجابة لعلها في قول القائل: «إذا خرج الكلام من القلب استقر في القلب».

وأزيد على ذلك بقولي: إن كلام أستاذنا (رحمه الله) لم يسكن في قلوبنا فحسب، بل جرى في عروقنا، وأصبح زادًا ودافعًا لنا في مسيرنا نحو تحقيق أهدافنا السامية في ميدان الدعوة وفِي سبيل الحق التليد.

سكن جسده التراب... وسكنت كلماته القلوب.

سكن جسده الطاهر... وبقيت كلماته حيّة في قلوبنا،

إن كلام أستاذنا العصار لم يسكن في قلوبنا فحسب، بل جرى في عروقنا، وأصبح زادًا ودافعًا لنا في مسيرنا نحو تحقيق أهدافنا السامية في ميدان الدعوة وفِي سبيل الحق التليد

غذاءً لأرواحنا.. سرَتْ فينا.. تدفعنا نحو العمل... لتستمر القافلة.. ولنواصل الدرب، ونكمل المسير، على نفس النهج... لعلنا يومًا نصل إلى ما كان يصبو إليه أستاذنا الفاضل، ونقطف الثمرة في هذه الدنيا.. أو نرحل لِلُقياه غير مبدّلين ولا مُغيرين.. نرحل لنلقاه هناك.. هناك عند الأحبة، محمد وصحبه!!

أحببت فيه سَمْتَه، طِيبته، بَساطته...

أحببت فيه نظراته، وخصوصًا إذا نزع نظّاراته... فكانت نبضات قلوبنا معها تتوقف للحظات عن النبض في انتظار ما سيقول أستاذنا من كلام عظيم تهتزّ له النفوس!

أحببت فيه تواضعه!

أحببت فيه صبره وجلده، تحمله وتجرده، حلمه وحزمه...

عدنا وعاد كل واحد منّا من هذا المخيم بعزيمة وزاد روحي لا يزال أثره علينا حتى يومنا هذا.

نعم، لا تقاس الدورات أو المخيمات بعدد الحضور فيها أو بحجم التصفيق أثناءها... وإنما بحجم التأثير في السلوك بعدها!

رحم الله لسانه الذاكر، وقلبه المُتقد بالإيمان وعزيمته النافذة.

من أين لهذا الشيخ الستيني كُلُّ هذه الطاقة؟!
من أين يأتي بالصبر وقوة التحمل والجلد؟!
من أين لهذا الإنسان كُلّ هذه العاطفة، وهذا الحب لعرض أجمل ما عنده وزبدة تجاربه الدعوية؟!

رحم الله حاجباه إذا عقّدهما!

رحم الله نظرته «وبحلقته» في سبيل إيصال فكرته!

رحم الله الوالد الشيخ الذي أعطانا - نحن الشباب - طاقة وحيوية ونضارة وفاعلية!

فهذا الشيخ الكبير ذو الجسم الهزيل هو من أعطانا دروسًا عملية في الصبر والثبات وحب العمل لله والتضحية في سبيل دعوته وإيصال رسالته!

نم بسلام أبا ... (لا أدري ما كنيته)؛ فقد خرجت من الدنيا صامدًا ثابتًا على مبادئك التي ربيتنا عليها، فكانت خير ختام، وأصدق تعبير!

نم بسلام أستاذنا الفاضل، فقد تركت خلفك رجالاً وشبانا في مختلف الميادين، وفِي شتى أصقاع المعمورة، يواصلون السير، ويجلِبون لك الأجر... ويومًا ما سنقطف جميعًا الثمر.

نم بسلام، فقد بلّغت وأوفيت الذي عليك وثبت وصدقت حتى أتاك اليقين!

هنيئًا لكم أستاذنا الحبيب حسن الختام.

ونسأل الله العلي العظيم لنا من بعدكم الثبات الثبات... حتى نقضي ما علينا بأمانة ووفاء... ونخرج من الدنيا بحسن الختام.

جمعنا الله بكم في جناته وعند حوض نبية وتحت لوائه.

عندما أحببت الدخان!!..

مع العصار في المعتقل

بقلم:

الشيخ / عمر هلال

إمام وخطيب

كانت المساومة بيننا وبين السجّانيين أن نمنحهم علبتي سجائر من النوع المميز يوميًا مقابل أن يسمحوا لنا بالخروج في فترة تريّض السياسيين؛ حتى نستطيع أن نرى الأستاذ العصار..
تقابلـــنا.. عرّفته بنفسي وبالشـبـاب الـذين معـــي، وقابلني ببسمة صافية جميلة هــوّنت علينـــا ما لاقــيناه من صعاب قائلاً: «وأنا أخوكم محمد العصار».

لا أتعجب إن ظنّ القارئ لوهلة أن الكاتب من عشاق الدخان المتمرسين، لكن الأمر ليس كما يبدو من العنوان فتمهل!

كنا أربعة من طلاب الأزهر الشريف من نازلي سجون الثغر السكندري على أثر معارضتنا للانقلاب. قضينا أيامًا مع الإخوان في السجن، نلتحف بإخوتهم، ونأنس بقربهم، وننام مطمئنين لجوارهم، حتى جاء موعد اختباراتنا الجامعية.

ككثير من الطلبة، قدمنا طلبًا لإدارة السجن لأداء الاختبارات الجامعية، وهو ما قوبل بالموافقة، التي أثارت عَجَبَنَا واستغرابنا.

حتى خَبُرنا الحقيقة... وهي أننا لم نكن ذاهبين لأداء الاختبارات بقدر ما كنا ذاهبين إلى رحلة من التعذيب البدني والنفسي في واحد من أسوأ السجون في مصر وهو «سجن الأبعدية» بدمنهور..

لا أود الاستطراد في الأحداث بقدر ما أود أن أصور لك سيدي القارئ ما لاقيناه وما كنا نعيشه هناك طيلة شهر مرّ كأنه ثلاثون عامًا.

فتخرج للزيارة - إن أتيحت لك - في قفص يُبعدك عن أهلك، لا تكاد تسمع لهم صوتًا ولا تتحسس منهم يدًا تمنحك بعض الأمان والحنان الذي تفقده مع هؤلاء المتوحشين.

سكنّا مع عتاةِ المجرمين أرباب سوابق القتل والمخدرات من أصحاب المحكوميات العالية، حيث لا تَهجّد يجمعنا، ولا حلقات الإخوان في السجن تؤنس وحشتنا، وتهون ساعات الأسر الطويلة... تنام مستيقظًا خوفًا على نفسك ممن يجاورك، وتأكل على عجل قبل أن يداهمك الضباط بتشريفة جديدة على شرف هؤلاء الطلبة السياسين، ولا يكاد صوت الصراخ والتكدير ينقطع عن عنابر السجن...

مرت أيام كأنها سنوات في طولها وقسوتها حتى اهتدينا لمحبوبتنا التي نعود إليها من جديد «علبة الدخان».. نعم.. فكانت هي العملة المعتمدة بين الجنائيين والسجّانين، فصرنا نطلب من أهلنا في الزيارة أن يمدّوننا بعلب الدخان على مختلف أنواعها.

أخبرنا أستاذنا العصار عن ما لاقيناه ونلاقيه من عنت السجن والسجانين والجنائيين، فأخبرنا: «وقولوا للناس حسنًا... واستعينوا بالصبر والصلاة».

فالأنواع المميزة تكون رشوة للمخبرين والسجّانين لاتقاء شرهم والتجول بحرية في العنابر، والعلب الرخيصة تكون لرفقاء السجن من الجنائيين لاستمالتهم والسماح لنا ببعض الأنشطة الدعوية في الغرفة دون إثارة للمشاكل.

وقد كان..سار الأمر كما المعتاد، حتى جاء موعد جلسة لي في الإسكندرية فتمّ ترحيلي لحضور الجلسة على أن أعود لاستكمال الاختبارات مساء، وكانت فرصة للقاء أهلي والتزوّد بمؤونة من علب السجائر المميزة، والتي كانت سببًا في لقاء الحبيب المهندس العصار (رحمه الله).

فكانت المساومة بيننا وبين السجّانيين أن نمنحهم علبة يوميًا من النوع المميز مقابل أن يسمحوا لنا بالخروج في فترة تريّض السياسيين، وهو ما تم بعد مفاوضات انتهت بعلبتين لا علبة، وبالفعل خرجنا وأحسسنا أننا حصلنا على البراءة.

قابلنا إخواننا الذين لا نعرفهم معرفة شخصية، ولكن جمعنا منهج وطريق ودعوة وصعاب نجتازها معًا، عانقناهم وكنا نقفز فرحًا، أخيرًا أحسسنا أننا مازلنا على قيد الحياة. حتى جاءنا أحد الأطباء قائلاً: «**يا شباب انتوا يا اللي عاملين دوشة الأستاذ عايز يتعرف عليكم**».. لم أكن أعرف من يقصد بالأستاذ،

كان أستاذنا العصار دائمًا ما يسألنا: «أخبار الصلاة إيه يا شباب؟... كل هذا سوف يمضي.. احنا شفنا أكتر من دا... طريق الدعوة مش عايز عيال.. عايز رجالة جدعان»

فأول مرة قابلت معتقلاً سياسيًا في «سجن الأبعدية» سألته: **من الأخ مسؤول السجن؟** قال لي: **لا يوجد، فالوضع هنا شديد، وقيادة السجن تتعامل بعنف وتنكيل معنا.**

غمرني الفضول، وذهبت معه، وقد بقيت بضع دقائق على انتهاء التريّض.

تقابلنا.. عرّفته بنفسي وبالشباب الذين معي، وقابلني ببسمة صافية جميلة هوّنت علينا ما لاقيناه من صعاب قائلاً: «**وأنا أخوكم محمد العصار**». ثم سمعنا الطرق على الباب الحديدي، فقد انتهى الوقت المسموح لنا كطلبة، ويجب العودة إلى العنبر سريعًا وإلا فالجزاء معلوم...

دخلنا مسرعين إلى زنزانتنا والفكر مشغول بصاحب تلك البسمة الذي يلتف حوله المعتقلون!

انتظرنا أن يأتي الغد... علب الدخان جاهزة، وأول ما سمعنا نفير التريّض ركضنا إلى السجان أعطيناه «المعلوم»، وانتظرنا أمام حجرة الأستاذ حتى خرج.

«**لن نتركه هذه المرة.. نحن نجلس مؤقتًا هنا، وسنعود بعد الاختبارات**»! هكذا صِحنا بالإخوة الذين يلتفون حول الأستاذ. وهو ما قابله ببسمته المعتادة، ومشى معنا يتعرف على هذا ويواسي هذا.

أخبرته أن أستاذي هو الأستاذ م. عبدالوهاب، فكان يفسح لي ويعاملني معاملة خاصة، ويسألني عنه وعن أحواله. أخبرته أني معتقل منذ شهرين، ولا أعرف عنه الكثير، لكنه بخير.. تنهّد ونظر إلى السماء، وقال «**الحمد لله**»، ودعا له بالحفظ والتوفيق.

فتعجبت أن يكون في مثل هذا الموقف، ويسأل عن إخوانه ويتفقدهم وينشغل بحالهم.. ثم يلتفت لنا: «**أخبار الصلاة إيه يا شباب؟... كل هذا سوف يمضي.. احنا شفنا أكتر من دا... طريق الدعوة مش عايز عيال.. عايز رجالة جدعان**».

وكلمات كثيرة كان يهوّن بها علينا... ضحكنا معًا ومشينا معًا... أخبرناه عن حيلة السجائر فضحك قائلاً: «**هو أنا غالي للدرجة دي**».

أخبرناه عن ما لاقيناه ونلاقيه من عنت السجن والسجانين والجنائيين، فأخبرنا: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾... ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.

كانت دقائق قليلة... نعم قصيرة في العدد، لكنها عظيمة الأثر.

جاء موعد انتقالنا بعد انتهاء الاختبارات، وعودتنا لسجوننا بالإسكندرية.. ودّعناه، ولم أكن أعلم أني لن ألتقيه مرة أخرى... ودّعناه - وقد دعى لنا وعانقنا - وداع صاحب عِشْرة طويلة الأمد، عميقة المعنى، وإن كانت لم تتجاوز بضعة أيام، فكان (رحمه الله) يتيمز بالقوة النفسية، وعمق الأثر، وصدق الحديث، وبشاشة الوجه، وصلابة أمام الصعاب وتحمل لمسؤولية الدعوة.

رحمات الله تترى عليك يا صاحب البسمة الصافية، والضحكة الهادئة، والصوت الحنون،

فإن فرقتنا سنيّ الحياة فإنّا مع النصر في موعدِ

فإنا مع النصر في موعد

علمـني العصـــار..

كلمات ومواقف

بقلم:
د. هشام السيد علي
أستـــاذ جـــامعي

كان الأستاذ العصار (رحمه الله) متفردًا في فهمه، وعمقه، وأسلوبه، لا يكاد يشبه أحدًا، أو يشبهه أحد ممن قرأت لهم أو استمعت إليهم، غايته الكبرى تملأ عليه جنبات روحه وأركان كيانه، يتلمس خطى أستاذه البنا مستلهمًا روحه، وفيًا لفكرته.

قال الإمام ابن القيم (رحمه الله) واصفًا الربانيين من العلماء العاملين: «**هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب**» (إعلام الموقعين).

فهؤلاء هم ورثة الأنبياء، على الحق أدلّاء، فهم منارات الهدى ومصابيح الدجى، الذين ينيرون للناس الطريق، ليصلوا بهم إلى مدارج الفلاح والتوفيق، وهم صِمام الأمان للأمة، خاصة في أزمنة الفتن، وأوقات الأزمات.

والمتبصر في حال أمتنا اليوم يجد أنها أحوج ما تكون إلى هؤلاء الربانيين من العلماء، والدعاة يرشدونها إلى طريق الحق والهدى والنجاة، خاصة في ظل هذه الفتن المتراكمة والمحن المتلاطمة التي تعصف بالأمة الإسلامية من كل جانب، ومكر الليل والنهار من أعدائها، وما أفدح خسارة

الأمة إذا فقدت واحدًا من هؤلاء الأعلام، الذين ندر وجودهم بيننا اليوم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتَّخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسُئِلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا**».

أكرمني الله بأن يسّر لي لقيا مع المهندس محمد العصار (رحمه الله)، كان لقاءً واحدًا، لكنه كان من أهم محطات التحول في حياتي، فقد وجدت ضالتي في هذه الشخصية الفذة، وهذا الداعية المجدد فكان طرحه سامقًا مرتفعًا راقيًا ينأى عن سفاسف الأمور، ويتجه بنفسه وبمن يستمع إليه نحو المعالي، رأيته يحمل قنديل البصيرة يشع منه نور الحكمة للسالكين، وضياء الهداية للغارقين، مما دفعني إلى متابعة ما يصدر عنه بعد ذلك من محاضرات ودروس وخواطر.

وأسوق فيما يلي بعضًا من إشراقاته التي تركت في نفسي وحياتي أبلغ الأثر، فقد كان الأستاذ العصار (رحمه الله) متفردًا في فهمه، وعمقه، وأسلوبه، لا يكاد يشبه أحدًا، أو يشبهه أحد ممن قرأت لهم أو استمعت إليهم، غايته الكبرى تملأ عليه جنبات روحه وأركان كيانه، يتلمس خطى أستاذه البنا مستلهمًا روحه، وفيًا لفكرته.

فقد أورد (رحمه الله) في إحدى محاضراته أن البنا (رحمه الله) نهض ليُقيم ما عطّله المبطلون من شرائع الإسلام، وهو الذي استخرج من صيدلية الإسلام الدواء الناجع لحال أمتنا المكلومة، مضمنًا إياه في تعاليمه

ورسائله، منطلقًا من نبع الإسلام الصافي، القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأحسب أن أستاذنا على هذه الخطى قد سار.

العصار (رحمه الله) كان له من اسمه أعظم النصيب، فقد انتهج طريق التيسير والبساطة مع التركيز في عرض ما أفاء الله عليه من أفكار استخلصها من بطون أمهات الكتب من التراث الفكري العظيم لأمة الإسلام، ثم صاغها وشرحها بأسلوبه، مضيفًا إليها نماذج وشواهد من حصيلة خبرته، وعصارة تجربته وتجربة من تعامل معهم من كبار الدعاة، باذلاً فيها من روحه، ليقدمها للمتلقي خلاصة نقية، صافية، سائغة للسائرين.

وقد أشار إلى ذلك (رحمه الله) وكأنه يتكلم عن نفسه وطريقته ومنهجه، عندما تكلم في إحدى محاضراته عن النحلة، التي شبه الرسول (ﷺ) المؤمن بها، ففي مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله (ﷺ): «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ النَّحْلَةِ أَكَلَتْ طَيِّبًا وَوَضَعَتْ طَيِّبًا وَوَقَعَتْ فَلَمْ تَكْسِرْ ولم تُفْسِد**»، فالنحلة تدور كل يوم على مئة زهرة وأكثر تجمع الرحيق منها جميعًا، ثم تضيف إليه من عصارتها الخاصة، لتخرج منتجًا جديدًا متمايزًا في لونه ورائحته ومذاقه.

علمني العصار.. أن كلام المؤمن كعسل النحل، لابد أن يستوفي شرطين أساسيين، هما: أن يكون كلامه حلوًا وشفاءً، في آن واحد

ارتقى م. محمد العصار شهيـدًا بـإذن ربـه صابرًا محتسـبًا يوم 20 رمضان 1440هـ المـوافق 25 مايو 2019م في محبسه بسجن برج العرب عن عمر ناهز 72 عامًا.

أسأل الله أن يجعل دمه لعنة على من ظلمه وألا يسلط هؤلاء الظالمين على أحد من بعده.

علمني العصار.. حيًّا

من خلال متابعتي للأستاذ (رحمه الله) تعلمت أعظم الدروس، وهو أنه لا بد للمؤمن من ميلاد حقيقي يحيا به حياة ربانية هذا الميلاد يحدده الإنسان ويختار موعده بنفسه، وهو يوم أن يتصل بالسماء ويلتزم بمنهج الله (سبحانه وتعالى) ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: 52).

انتهج العصار طريق التيسير والبساطة مع التركيز في عرض ما أفاء الله عليه من أفكار استخلصها من بطون أمهات الكتب، ثم صاغها وشرحها بأسلوبه، مضيفًا إليها نماذج وشواهد من حصيلة خبرته، وعصارة تجربته، ليقدمها للمتلقي خلاصة نقية، صافية، سائغة للسائرين.

وعلمني العصار..

أن كلام المؤمن كعسل النحل، لابد أن يستوفي شرطين أساسيين، هما: أن يكون كلامه حلوًا وشفاءً، في آن واحـد، وأنه لا يحل للمؤمن أن يـجلس مجلسًا

إلا أن يخرج منه بكسب دعوي، فينصح لله، ويحق الحق، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

ويستشهد الأستاذ في هذا الباب بحديث وإن كان ضعيفًا فله معنى عظيم «**مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، إِلا سُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ: هَلْ أَقَامَ مِنْهَا حَقَّ اللَّهِ، أَمْ أَضَاعَهُ؟**».

وينقل عن ابن القيم في ذلك قوله: «**ويل لمن تمكن من أذن رجل فلم ينصحه**»، ويتمثل قول أستـــاذه البنا (رحمه الله): «**لقد وفقنا الله إلى طريقة لينة في عرض الحق، تقرب القلوب، وترضي الأفهام والعقول، ونحافظ فيها على أخوة الأمة، ولا نصادم فيها الشرع**».

ثم يتمثل حكمة الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله) عندما قال: «**من لم يشرح بهذا الدين صدرًا، أو يقنع به عقلاً، ويريد أن يفرضه على الناس بالعصا فهو قاطع طريق وليس بداعية**».

علمني العصار..

أن المؤمن يعيش بجسده على الأرض وروحه معلقة بالجنة، كما نقل عن الغزالي (رحمه الله) واصفًا حال المؤمن: «**رجلاه على الأرض ورأسه في السماء**»، يردد قول الحبيب (صلى الله عليه وسلم) «**مَالِي وَلِلدُّنْيَا، وَمَا لِلدُّنْيَا وَمَالِي، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»، فمهما أخذ من الدنيا، وتنعم بما فيها، يظل يردد بلسان حاله: «**رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة**».

وينقل الأستاذ كلام سعيد حوى (رحمه الله) في هذا المقام: «**لو تتبعت القرآن، وكلام رسول الله (ﷺ) تكتشف أنه كان يعيش بجسده في الدنيا وبروحه في الآخرة**»، فالفارق بيننا وبين الصحابة، أن الصحابة كان بينهم وبين الآخرة جدار شفاف، يرون منه الآخرة رأي العين، فهانت عليهم الدنيا كلها.

علمني العصار..

أن القائد الحقيقي هو أفضل جندي، وأن من لم يتقن فن الجندية أضاع القيادة، وأن المؤمن يؤدي مهمته من أي موقع كان، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، وإن كان في المقدمة كان في المقدمة، وأن خالدًا بن الوليد (رضي الله عنه) انتصر على نفسه قبل أن ينتصر في ساحات الحروب والمعارك التي خاضها، فقد جاءه رجل بعد أن عزله عمر (رضي الله عنه) من قيادة الجيش قائلاً: **أبعد أن صارت زبدًا وعسلاً يعزلك ويولي غيرك؟!.. فقال له: «اسكت، أتأمرني أن أخرج على رجل طاعته من الإيمان»**.

علمني العصار..

أنه لا بد أن يكون للمؤمن ورد قراءة كما له ورد من القرآن، وأن نضج المؤمن لا يأتي طفرة وإنما بالتدرج، فيتكون كلمة بكلمة وموقفًا بموقف، ومن خبرة إلى خبرة حتى يصبح عالمًا، فلا ينبغي له أن يزهد في لقاء ينمي فيه فكره، وعقله، أو في كتاب جديد يضيف إليه علمًا وفهمًا، أو في مجلس ذكر يسمو بنفسه ويرقق قلبه.

وقد روى البخاري ومسلم عن مُعَاوِيَةَ بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (ﷺ) يَقُولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**».

علمني العصار..

أن **المؤمن صاحب فقه ﴿وآثارهم﴾**... لا يعمل لقيام الليل والصيام فقط، وإنما يعمل لما بعد الموت، نحن نتعلم أعمالاً تجلب لنا الأجر بعد الموت حتى ونحن في الجنة ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**﴾ (يس: 12)، ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**﴾ (الشعراء: 84)، فأثر المؤمن في الحياة جزء من أثر الله فيه.

وكن رجلاً إن أتوا بعده يقولون: مرَّ وهذا الأثرْ

ولينظر المؤمن إلى عظيم أثر الله في النبي (ﷺ)، الذي جعل له أعظم أثر في الكون كله.

إن أعظم رتبة ينبغي على المؤمن أن يحرص على الفوز بها في الدنيا، أن يستغفر له الكون كله، جزاء تعليمه ونشره الخير بين الخلائق «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ**».

علمني العصار أنه لا بد للمؤمن من ميلاد حقيقي يحيا به حياة ربانية هذا الميلاد يحدده الإنسان ويختار موعده بنفسه، وهو يوم أن يتصل بالسماء ويلتزم بمنهج الله (عز وجل)

علمني العصار..

أن حسن تبعّل المرأة لزوجها، وإحسانها في تربية أبنائها، يرتقي بها في المنازل إلى مصاف عمال الله، والمجاهدين، كما أورد (رحمه الله): «**أن رجلاً جاء إلى النبي (ﷺ)، فقال: يا رسول الله، إن لي امرأة إذا دخلت عليها قالت: مرحبًا بسيدي، وسيد أهل بيتي، وإذا رأتني حزينًا قالت: ما تحزنك الدنيا، وقد كفيت أمر الآخرة، فزادك الله عنها، وكذلك فلتكن، فقال رسول الله (ﷺ): أخبرها أنها عاملة من عمال الله، ولها نصف أجر المجاهد**».

وختامًا..

علمني العصار.. بمواقفه كما علمتني كلماته..

علمني (رحمه الله) بجهاده وثباته على الحق حتى الممات، فشاء الله تعالى أن تدب حياة الخلود في كلمات المهندس محمد عبد الوهاب العصار (رحمه الله) في اللحظة التي فاضت فيها روحه إلى بارئها، فترجل الفارس عن صهوة جواده كما يليق بمثله، فلقي ربه مقبلاً غير مدبر، حاملاً لواء دينه، منافحًا عن دعوته، يزود عن حياضها حتى آخر لحظة له في الدنيا، وكأنه يتمثل قول، وفعل سيد قطب (رحمه الله): «**إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع، حتى إذا متنا في سبيلها دبت فيها الروح، وكتبت لها الحياة**».

فقد اعتقل في نوفمبر عام 2013م، وحكم عليه من قبل محكمة عسكرية بالسجن 7 سنوات، وكان من رده على القاضي: «**لن أكمل هذه المدة في سجني**».. وصدقه الله.

من مقولاته الخالدة للمعتقلين من إخوانه وأبنائه حين نزولهم لجلسات المحاكمات: «**اذهبوا بالأمل وعودوا بالرضا**».

وكتب د .عبد القادر حجازي – أحد قادة الإخوان في كفر الشيخ:

«قابلته في برج العرب وكان متفائلاً ومستبشرًا،

فسألته عن سبب ذلك؟

فقال: **جئتُ هنا لأستلم مكافأة نهاية الخدمة.**

فسألته: وما هي تلك المكافأة؟

قال: **أن أنال الشهادة في محبسي هذا؟**».

رحمه الله، صدق الله فصدقه الله...

رحم الله المهندس محمد العصار، وانتقم ممن ظلمه، وظلم إخوانه وتلامذته، وتقبله في زمرة الشهداء الأبرار، وألحقنا به غير خزايا ولا مبدلين، ولا فاتنين ولا مفتونين، والحمد لله رب العالمين.

كلمة عن العصـــار

بقلم:
د. علاء الغرياوي
أستاذ جامعي - مصر

أول ما تمتع به العصار هو علاقته بربه التي سرعان ما تلمحها في نظرات عينيه وطيّات كلامه، وإن لم يتحدث عنها، أو يشر إليها، وحينما تتعامل معه ترى رجلاً كان يعيش في الدنيا بجسده، أما قلبه فمعلق بالآخرة، ولا نزكي على اللّه أحدًا!

مَنَّ الله عليّ بأن حضرت دروس الداعية المربي محمد العصار، واستمعت لكلماته في محاضرات ولقاءات متفرقة، ثم منّ الله عليّ بصحبته فترة من الزمن، عايشته فيها معايشة كاملة، ولا أزعم أنني كنت من المقربين منه على مدار فترة طويلة من الزمن، فهناك الكثيرون ممن هم أعرف به مني، ولكنني هنا أكتب فقط عن الفترة التي عايشته فيها. رأيت فيها مدى صدق الرجل في مطابقة أفعالِه أقوالَه، فكان منسجمًا مع نفسه فيما أراد، وفيما يقدم لها!

من تعرّف على العصار، يعرف أن الرجل تربّع على عرش خصال جعلته نموذجًا فريدًا، لم أر من يقاربه في جمعها! كان يجسد قول رسول الله (ﷺ): «**إنَّ هذا الخيرَ خزائنُ، ولتلكَ الخزائنِ مفاتيح، فطوبَى لعبدٍ جعلهُ اللهُ مِفتاحًا للخيرِ مِغلاقًا للشرِّ**».

تمتّع أول ما تمتع الرجل بعلاقته بربه التي سرعان ما تلمحها في نظرات عينيه وطيّات كلامه، وإن لم يتحدث عنها، أو يشر إليها، وحينما تتعامل معه ترى رجلاً كان يعيش في الدنيا بجسده، أما قلبه فمعلق بالآخرة، ولا نزكي على الله أحدًا!

كان (رحمه الله) له مدرسته، وله منهجه الذي رسمه لنفسه وسار عليه دون أن يحيد عنه، أما عن **أبرز ملامحه فمن خلال صحبتي له تجلّت لي فيه سبع خصال:**

أولاً- سعة اطلاعه في مجالات الحياة عمومًا:

مَن صاحب العصار عرف أنه أمام موسوعة متحركة، لم يقصر نفسه في قراءته على مجال تخصصه، بل أجاد تخصصه وكل تخصص رآه يخدم دعوته، فهو أصولي حينما يتحدث عن الأصول، فقيه حينما يتحدث عن الفقه، ومؤرخ حينما يتحدث عن التاريخ.

بهرني ذات يوم حين تطرق بحديثه إلى اللغة العربية، وتاريخها، وآدابها، ومن كتب في هذا المجال، وماذا كتبوا، وأخذ يعرض أفضل نماذج في هذا المجال، وتطرق للحديث عن حركات الاستشراق في الوطن العربي، فوجدت أنه قرأ في هذا المجال أكثر مما قرأت، ويعرف أكثر مما أعرف، وإن كان هذا مجالَ تخصصي.

> لم يكن العصار يُحلّق بمدعويه بعيدًا في أحلام المدينة الفاضلة، ولم يكن يروي قصص بعض التابعين الخارقة أو التي تدل على المثالية، بل كان واقعيًا، يعرف من يدعو، وإلام يدعو

لم تتجلَّ روعته (رحمه الله) في مجرد معرفته، بل في كيفية ربطها بالواقع أو بموضوع الحديث، كما أنه (رحمه الله) امتلك معرفة حية، ليست معرفة ميتة أو جامدة، بل كانت له القدرة على إحياء المعاني، فيحدثك عن حدث في التاريخ، وكأنه ماثل أمام عينيك، بل يجعلك كأنك أنت صاحب الحدث.

كان نموذجًا حيًا لما يحكيه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**المؤمن كالنحلة**» لم يكن يحكي ما يقرأ، وإنما يجمع رحيقه من أنحاء البساتين ليخرج لنا رحيقًا لذيذًا فيه شفاء للناس!

ثانيًا: ترتيبه لمعلوماته:

لم يكن العصار واسع الاطلاع فحسب، بل كانت لديه قدرة فائقة على الربط والتحليل، وقليل من الناس كذلك!

فكثيرًا ما تجد شخصًا واسع الاطلاع، لكن مبعثر المعلومات، يذكر كل ما هب ودب، أو على النقيض من ذلك تجد شخصًا يستطيع أن ينظم معلوماته، لكنه لا يملك إلا القليل.

أما العصار (رحمه الله)؛ فقد منّ الله عليه بأن امتلك هذا وذاك، فكان لديه الكثير، كما كان له القدرة على التركيب والتصنيف، ترى هذا جليًا وأنت تسمع محاضرة «الدوائر الثلاث»، أو «اللاءات الثلاث»، أو

لم تتجلَّ روعة العصار في مجرد معرفته، بل في كيفية ربطها بالواقع أو بموضوع الحديث، فقد كانت له القدرة على إحياء المعاني، فيحدثك عن حدث في التاريخ، وكأنه ماثل أمام عينيك، بل يجعلك كأنك أنت صاحب الحدث

محاضرة «بيعـــتان»..، ففي كلمات عذبة سهلة بسيطة يجمع لك الكثير والكثير.

وفي هذا السياق، أرى ضرورة التنويه على أمرين يعـــرفهما كل من اســـتمع إليه (رحمه الله)، وهما:

1 - تشعّبه في الحديث، كان يخرج بك من نقطة إلى ثانية وثالثة، قد تشعر بذلك، وقد لا تشعر إلا حين يفاجئك هو بسؤاله المرح المعتاد (**إحنا إيه اللي جابنا هنا؟**).

نعم.. كان (رحمه الله) متشعب الحديث، لكنه تشعب هادف، ينفي عنك الملل، ويتجول بك في حديقة غناء بين أنواع الزهور.

طلب مني ذات يوم تسجيل فيديو لإحدى محاضراته، فسجّلتها له، ثم جلس في نهاية اليوم يستمع إليها، وأخذ يضحك لبعض المواقف الطريفة في المحاضرة، ولتشعب حديثه، ثم قال لي: «**اسمع، صح أنا اتكلمت في حاجات كتير، بس كلها من نفس الفصيلة، يعني زي اللي بيزرع قمح بدل الدرة، بيزرع حاجة من نفس النوع، مش تقوله: ازرع قمح، يروح يزرع لك بطيخ!**».

كان تشعبًا يَعلمه ويدركه، بل ربما كان أحيانًا يقصده، كان يصب في هدف واضـــح ومحدد، فقد كان يدرك جـيدًا ماذا يقول، ولمن يقول، ومتى يقـــول.

كمـــا أنه كـــان يعـرف الكثـــير، لكـنه لا يختار إلا مـــا يحـــقق هـــدفه، فلم يـكـــن حـديثه لمجرد المؤانســـــة والاستـــمتاع، أو للاستعراض كما يفعل بعض الدعاة.

وكان يقول: «**كان الإمام البنا (رحمه الله) يعرف قرابة عشرين ألف بيت من الشعر، ولكنه لم يستخدم منها في رسائله سوى أبيات معدودة، وهي تلك التي رآها تخدم هدفه، وليس مجرد ذكر للاستعراض**»»،

وكان يشبه هذا بالطبيب أو الصيدلي، الذي يعرف الكثير من الأدواء والأدوية، لكنه لا يذكر لمريضه إلا ما يناسب مرضه.

2 - كان (رحمه الله) أيضًا يكرر كثيرًا من موضوعاته، فمَن منا لم يستمع إلى محاضرة «أصحاب الأخدود» أكثر من مرة، لكنه كان بالفعل يملك أسلوبًا سحريًا، يجعلك تستمع وتستفيد في كل مرة تسمع فيها القصة، وفي كل مرة يضيف إليك شيئًا جديدًا، نعم عنوان الدرس (أصحاب الأخدود) لكنه كان يُحسن توظيف القصة أيّما إحسان، ومن ثم لابد أن تخرج كل مرة بفائدة جديدة تشعر معه فيها وكأنك أول مرة تسمع هذه القصة، كان حقًّا مبدعًا في إحياء المعاني، لم يكن يتحدث بمعلومات جافة لا روح فيها، وإنما حديث حي، حديث القلب، حديث الروح!

ثالثًا: واقعيته وبعده عن الخيال

كان يدرك الطبيعة البشرية جيدًا، وكان يعرف ما يدعو إليه، ولم يكن يُحلّق بمدعويه بعيدًا في أحلام المدينة الفاضلة، ولم يكن يروي قصص بعض التابعين الخارقة أو التي تدل على المثالية، بل كان واقعيًا، يعرف من يدعو، وإلام يدعو.

كان يركز في دعوته بداية على الأساسيات وعلى ما لا يسع المسلم تركه، وعلى ما يجمع الناس، أما فضائل الأعمال فلم يكن يملأ محاضراته بهذا النوع من الأعمال، وإنما يكتفي بأن يقدم فيها النموذج الحسن والقدوة الرائعة.

كان يشعر بآلام الناس ومعاناتهم.. كان يعذر الآخرين، وإن قصروا أو أذنبوا، ويحاول أن يأخذ بأيديهم، ولا يكثر من اللوم، بل لم أره يومًا يلوم أحدًا.

رابعًا: امتلاكه روح الدعابة وخفة الظل:

مع سعة علمه (رحمه الله) لم يَشْعُر، أو يُشعِر غيره بأنه أعلى أو أفضل منهم، بل كان متواضعًا يخاطب الكبير والصغير، يخاطب صاحب المنصب، والعامل البسيط، ساعده على ذلك امتلاكه روح الفكاهة والدعابة، فلم تكن محاضراته مجرد محاضرات جافة تهدف إلى مجرد نقل المعلومات، بل لابد أن تحوي الشعور والروح والحياة، كما تتضمن الفكاهة الهادفة التي لم يجرح بها يومًا أحدًا؛ لذا كان أفضل خبر نسمعه هو أن هناك محاضرة للعصار، فهي كوكتيل الروح والعلم والفرحة والسعادة معًا!

خامسًا: حرصه على وقته:

كان (رحمه الله) حريصًا كل الحرص على وقته، حريصًا على توصيل دعوته للجميع، وكأنه في سباق دائم مع الزمن، كان يغتنم كل موقف ولو في أقل من دقيقة.

رأى ذات يوم صديقي نبيل بعد صلاة الفجر، فسأله عن المذاكرة، فقال

كان العصار نموذجًا حيًا لما يحكيه عن رسول الله (ﷺ): «المؤمن كالنحلة» لم يكن يحكي ما يقرأ، وإنما يجمع رحيقه من أنحاء البساتين ليخرج لنا رحيقًا لذيذًا فيه شفاء للناس!

الحمد لله، ودعواتك يا باشمهندس. فأجابه: «**نعم، والدعاء جزء من الأخذ بالأسباب**» كلمة لا تتجاوز ثواني معدودة، يعمق فيها معنى وأهمية **الدعاء**، وفي نفس الوقت يضعه في مكانه أنه جزء من **الأخذ بالأسباب**، وليس كل الأسباب.

هكذا كان حريصًا في كل موقف أن يغرس معنى!

حين دعوته لزيارتنا في بلد آخر، ألحّ عليه الإخوة أن يأخذ معه موبايل، فربما يحتاج إليه في المطار أو غيره حتى يتواصل معي، رفض ذلك. كان له مدرسته الخاصة، لا يمنع غيره أبدًا من استخدام الموبايل والتقنيات الحديثة ولا يدعو إلى ذلك، ولكن كان حريصًا دائمًا على التواصل الحي، التواصل المباشر مع الناس، ليس عبر رسائل «الواتس آب» أو «الفيس بوك» أو غيرهما.

كان ضيفًا خفيفًا، حين وصلنا كان قد بقي بضع ساعات على بدء المحاضرة، وبالطبع كان لابد من الجلوس معه، جلست معه بعض الوقت نتحدث، ثم قال لي: «**الآن اذهب لعملك، ولا تقلق عليَّ، فأنا أستطيع أن أرتب وقتي جيدًا، فقط أعطني مصحفًا!**».

كان العصار يشعر بآلام الناس ومعاناتهم.. كان يعذر الآخرين، وإن قصروا أو أذنبوا، ويحاول أن يأخذ بأيديهم، ولا يكثر من اللوم، بل لم أره يومًا يلوم أحدًا

سادسًا: زهده وبساطته:

كان بسيطًا بمعنى الكلمة، أموره بسيطه، حياته بسيطة، نفسيته سهلة وبسيطة، تعامله

مع الناس بسيط بعيد عن التكلف مع تقديره لهم، تعامله مع الدنيا كلها على أنها بسيطة.

ومن عباراته الشهيرة: «**تعود ألا تنبهر**» وهي كلمة لها ما لها من المعاني!.

كان له في الضيافة فلسفة، وهي أن بيت الأخ يجب أن يكون مفتوحًا دائمًا لإخوانه وللناس، قال لي ذات مرة: «**إن مفتاح بيته مع عشرة من إخوانه، كلهم يدخل متى شاء**».

كان حريصًا أن تكون ضيافته بسيطة، ولم يكن يتكلف لضيوفه حتى لا يتكلفوا له.

من أقواله:

- «**أنا لما يجيني ضيف بعمل له كوباية شاي بس، فلما يشوفني بعد كده بيكون سهل عليه يعزمني على كوباية شاي، وبيته بيكون مفتوح لي، ولما بيعمل لي كوباية شاي ومعها باكو بسكوت بيحس إنه راجل، طب وأنا عاوز إيه غير إن أنا أحسس الناس إنها رجالة؟! لكن لو اتكلفت له هاضطره إنه يتكلف لي، ويبطل يجيني أو يعزمني على كوباية الشاي، وبكده هنبعد عن الناس**».
- «**مش عيب إنك تقدم لضيفك كوباية شاي أو حتى كوباية مية، العيب إن بيتك يكون مقفول**»!

لم يكن (رحمه الله) يطمع مما في أيدي الناس شيئًا، كان زاهدًا، ومع ذلك كان من أكثر الناس هندامًا وحسنًا.

في إحدى محاضراته تطرق لهذا الموضوع، فقال: «**بقى أنا أشتري بدلة بست مئة جنيه؟، والله ما يحصل! دا أنا عندي ستين سنة، يعني العمر الافتراضي بتاعي خلاص، أشتري بدلة بست مئة جنيه وبعد سنة ولا اتنين أموت؟ طب والست مئة جنيه؟**».

ثم يكمل:

«**أنا البدلة اللي أنا لابسها دي أخدتها من أخويا حسين، إيه رأيكم فيها؟ طب والله جميلة!**». ثم يضحك ويضحك الجميع.

كان (رحمه الله) زاهدًا في نفسه، ولا يُلزم غيره بزهده.

سابعًا: حبه لدعوته ولإخوانه

كان (رحمه الله) من أشد الناس حبًّا لدعوته ولإخوانه، فليس في فكره سوى دعوته، وليس في قلبه سوى دعوته! كان يعبر عن ذلك قولاً وعملاً.

ففي ميدان رابعة، كان على رأس الموجودين، ينتقل من خيمة لخيمة في همّة وحيوية ونشاط يبث الأمل، ويوقظ الهمم، ويحيي العزائم، لا يكل ولا يمل، كل هذا في جو الجد الممزوج بمرحه ومزاحه المعتاد وروحه الجميلة حتى في أصعب الأوقات وأشد الساعات.

فكان بالفعل يبرهن أن ميدان القول غير ميدان العمل، فكان بارعًا في ميدان القول، مقدامًا في ميدان العمل! ومن عايشه من قريب علم أنه ليس أفضلَ مِن كلامه ومحاضراته سوى أفعالِه!

رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته، وألحقنا به في الصالحين... اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر اللهم لنا وله! اللهم آمين.

المحتويات

- مقدمة الناشر 3
- نبـذة عن حـياة الداعية المربي محمد العصار 7
- عندما يترجل الفرسان..... د. صلاح عبد الحق... 11
- محمـد العصـار وذكريات الهجرة والحب في الله.... د. جمال حشمت... 18
- العصار (رحمه الله) شخصية فريدة وصفات حميدة.. أ. خميس شمة... 23
- مناقب الداعية المحبوب محمد العصار.. د. محمود محمد حسنين ... 31
- الداعية المربي محمد العصار... صاحب العرض الفريد والعاطفة الجياشة.
..... أ. محمد إبراهيم المغربي ...38
- المهندس محمد العصار.. الداعية.. الزاهد.. الفواح .....
..... م. نور الدين عبد الحافظ ... 49
- مع العصار.. هكذا عرفته وهذا ما تعلمته منه... د. عصام منصور ... 62
- المهندس محمد العصار.. الأستاذ الرائع والمربي الفاضل .....
..... د. فاروق عاشور...81
- ذلكم مما علمنا العصار ..... د. إبراهيم عبد الرحمن... 83
- العصار وأجمل أيام الحياة ..... د. حمزة عيسى... 87
- عندما أحببت الدخان!!.. مع العصار في المعتقل ... أ. عمر هلال ... 92
- علمني العصار.. كلمات ومواقف ..... د. هشام السيد علي... 97
- كلمة عن العصـار ..... د. علاء الغرباوي ... 106
- المحتويات 115